

ثقافة الأطفال في العصر الرقمي

رؤي وتحديات

فاضل الكعبي



ثقافة الأطفال في العصر الرقمي رؤى وتحديات

الكتاب : ثقافة الأطفال في العصر الرقمي رؤى وتحديات/ دراسات وأبحاث

تأليف : فاضل الكعبي

تصميم الغلاف : محمد محسن

مراجعة لغوية: سيد المطعني

تنسيق داخلي : يوسف الفرماوي

الطبعة الأولى : 2020

رقم الإيداع: 11316 / 2020

الترقيم الدولي : 1-75-6783-977-978

الناشر : السعيد للنشر والتوزيع

المدير العام : ملياء السعيد

برج الهادي - الدور الأول - 36 ش عبد الحميد الديب - شبرا مصر

01550096215 - 0222017260

elsaidpublisher@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر



ثقافة الأطفال في العصر الرقمي رؤى وتحديات

دراسات وأبحاث

تأليف

فاضل الكعبي

أديب وكاتب مفكر وباحث خبير ومختص في أدب وثقافة الأطفال





بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

الكعبي، فاضل.

ثقافة الأطفال في العصر الرقمي، رؤى وتحديات: دراسات وأبحاث

القاهرة: السعيد للنشر والتوزيع، 2020

104 ص، 17×24

تدمك 1-75-6783-977-978

1- ثقافة الأطفال

أ- العنوان

301/2

رقم الإيداع 11316 / 2020

إهداء

إلى رعاة الأطفال رعاية مستدامة، صنّاع رجال الغد وقادته صناعة متقنة، انطلاقاً من الحاضر وصياغاته المأمولة بآمال المستقبل المنشود، أولئك الساعين برغبة أكيدة إلى ازدهار الحياة ورقّيتها، ووسيلتهم المثلّى وغايتهم الأساسية في ذلك هو الطفل، عبر العمل الجاد والمتجدد لبناء هذا الطفل بناء إنسانياً، ثقافياً، علمياً، اجتماعياً، تكنولوجياً متقدماً، يأخذ بحدود ثقافة الأطفال ومحدداتها الصحيحة في العصر الرقمي.

فاضل الكعبي

مارس 2017

المقدمة

هنا في هذا الكتاب مجموعة من الدراسات العلمية القصيرة، التي تعالج وتبحث العديد من القضايا الجدلية الحديثة التي تدور في مدار ثقافة الأطفال حصراً، والجامع الذي يجمع هذه الدراسات ويوحدها في إطار واحد هو بحثها في قضايا التكنولوجيا واشتغالاتها الإلكترونية والاتصالية المختلفة في أكثر من جانب من جوانب الطفل وثقافته في حياته العامة.

في البداية لابد من التأكيد هنا على مسألة مهمة للغاية، وهي أن هناك حقيقة لا يمكن تجاوزها بأي شكل من الأشكال، أو تجاهلها بأي مدى من المديات في النظر إلى الإنسان ونشاطه المحوري في كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية، وهي حقيقة وجود الطفل، وحقيقة وجود ثقافته الخاصة في حدود عوالمه المحددة، التي تتميز بجملة من المميزات والفروق عن عوالم الكبار، وعن ثقافتهم العامة، على الرغم من تعايش الأطفال في حدود عوالم الكبار، واتصالهم المتواصل مع ثقافتهم التي هي بالنتيجة الكلية ثقافة المجتمع بصورة عامة، وهذا الحال يتيح لنا إدراك مدى الصلة والاتصال بين عالم الأطفال وعالم الكبار، أو عالم الراشدين على وجه أعم كما يسميه البعض، فعالم الأطفال لا يمكن أن ينسلخ عن عالم الكبار، كذلك الحال بالنسبة لعالم الكبار، فهذا العالم لا يمكن له أن يعيش طبيعياً وينمو ويتجدد بمعزل عن عالم الأطفال، وبالنتيجة البديهية لطبيعة الحياة الإنسانية في ديناميكيتها الوجودية، هناك أخذ وعطاء بين عالم الأطفال وعالم الكبار، كل يتأثر في الآخر ويؤثر فيه، اجتماعياً وثقافياً، إلا أن ذلك لا ينفي وجود الخصوصية التي ينطلق منها ويعيشها كل منهما في إطاره الخاص، هذه الخصوصية التي تتخصص بعوالم مكوناتها الخاصة التي هي في الغالب تنشأ من عوالم ومكونات عامة لتتمحور فيما بعد في إطار خصوصيتها الخاصة، فثقافة الأطفال في مفهومها الدقيق هي الثقافة الخاصة والمتخصصة بجمهور

الأطفال، إلا أنها لا تنعزل عن الثقافة العامة للمجتمع، وبالمعنى الدقيق تعد ثقافة فرعية لثقافة المجتمع، وثقافة المجتمع هذه لا يمكن لها أن تتواصل في نموها، وتتجدد في بنيتها إلا بتنامي وتجدد ثقافات الفرعية، ومنها ثقافة الأطفال، فثقافة الأطفال هي الثقافة المستقبلية التي يعتمد عليها المجتمع في نظريته المتطورة إلى المستقبل، مثلما هو الحال بالنسبة إلى الطفل الذي هو نواة المجتمع، والأساس الذي ينمو فيه إنسان هذا المجتمع، انطلاقاً من مفهوم (الطفل أبو الإنسان) تجدد الدائم، وهو ابن الإنسان في نموه المتواصل.

من هنا فقد اهتمت المجتمعات الإنسانية المتقدمة بالطفل وثقافته اهتماماً استراتيجياً خاصاً، وعدت الطفل وثقافته الأساس العلمي القويم لنهضة الإنسان، والمرتكز الأهم لمجمل المنطلقات الفكرية والإنسانية والعلمية التي ينطلق منها هذا المجتمع في خططه وبرامجه في التنمية والتجديد والتطور، خاصة ونحن الآن نعيش العصر الرقمي، هذا العصر العجيب والغريب في تطلعاته، وإنجازاته، هذا العصر الخطير والمتسارع في تحولاته، وفي نتائج ما أتى به من منتجات ومخترعات فاق الكثير منها التصور والعقل، وتجاوز حدود الواقع، فخلفت في هذا الواقع العديد من المخلفات والمنعكسات السلبية منها والإيجابية على الإنسان وثقافته بشكل عام، وعلى الطفل وثقافته بشكل خاص.

من هذا المنطلق سعينا سعياً حثيثاً في صفحات هذه الدراسات التي تم اختيارها بعناية، إلى تبيان ودراسة أهم الجوانب والنتائج التي تخلفها التكنولوجيا وتعكسها في منتجاتها الإلكترونية، في السلب والإيجاب، على الطفل وعلى وعيه وثقافته بشكل خاص، وسعينا في ذلك إلى إبراز أهم الرؤى التي ننظر بها إلى ثقافة الأطفال، مع تحديد أبرز التحديات التي تواجه المجتمع عامة، والأسرة والطفل خاصة، جراء استفحال عناصر التكنولوجيا وقيمها في المجتمعات الإنسانية بشكل عام ومنها مجتمعاتنا العربية والإسلامية التي لم تكن بمنأى عن مؤثرات وتأثيرات التكنولوجيا في العصر الرقمي.

هذا الكتاب يحتوي على ست دراسات علمية متخصصة بموضوعة ثقافة الأطفال وقضاياها المختلفة من جوانب متعددة.

في الدراسة الأولى كنا قد تناولنا أسس التطور الثقافي وآلياته الاجتماعية في مجتمع المعلوماتية، وما عكسه هذا التطور من نتائج ومنعكسات متعددة ومختلفة على الأفراد بصورة عامة وعلى الأطفال بصورة خاصة.

واهتمت الدراسة الثانية بدلالات الهوية الثقافية الخاصة بعوامل ثقافة الأطفال، وتعرضت بالدراسة والبحث في جدل الحفاظ عليها، وسبل تناميها وترسيخها في نفوس الأطفال وفي سلوكهم الثقافي والاجتماعي وهم يتطلعون إلى ما هو مبتكر وعلمي ومدهش في عصرهم الرقمي.

وانطلقت الدراسة الثالثة من الأثر التربوي والتعليمي الذي تتركه ثقافة الأطفال في جمهورها، وهم ينطلقون من هذا الأثر وقيمه في نظرتهم إلى التكنولوجيا و سبل التعامل مع عناصرها.

أما الدراسة الرابعة فقد انطلقت من قضية حساسة ومهمة في الواقع الثقافي للإنسان، وهي قضية الهوية الثقافية، حيث أتت لتناقش هذه القضية من جوانب متعددة، وخاصة منها بما يتعلق بمحددات الهوية الثقافية وإشكالياتها في العصر الرقمي، لتطرح من خلال ذلك العديد من التساؤلات الجدلية المهمة في الراهن التكنولوجي ومنعكسات ذلك على الطفل وعلى ثقافته.

وتعرضت الدراسة الخامسة إلى قضية مهمة من قضايا ثقافة الأطفال تلك هي قضية الطفل واللعب وما ينتج عن ذلك من نتائج ومنعكسات بات الكثير منها سلبياً وخطيراً على الطفل وعلى ثقافته التي اتصفت بثقافة العنف الإلكتروني، بعد إدمان الطفل على ممارسة اللعب الإلكتروني المنتج للعنف بشكل كبير، والذي تشبعت به انفعالات الطفل وغرائزه، مما ينذر بعديد من النتائج الخطيرة على نفس الطفل وثقافته.

أما الدراسة الأخيرة في هذا الكتاب وهي الدراسة السادسة فقد سعت إلى إثراء المعرفة العلمية بأكثر الجوانب أهمية لثقافة الأطفال في العصر الرقمي،

محاولة في ذلك تسليط الضوء بشكل واضح على أبرز التحديات التكنولوجية التي تواجه الأسرة العربية في العصر الرقمي، وكيفية العمل على مواجهة هذه التحديات والتغلب عليها من خلال التعامل العلمي الدقيق مع ثقافة الأطفال الرصينة.

وخاتمة القول هنا: نأمل لهذه الدراسات أن تجد ما تستحقه من الاهتمام لدى طلابها من المعنيين بها، والعمل على هديها لترصين واقع وقيم ثقافة الأطفال الحقيقية والفاعلة في المجتمع، والله المستعان، وقل ربّي زدني علماً.
فاضل الكعبي

التطور الثقافي وآلياته الاجتماعية في مجتمع المعلوماتية

مع سباق التطور التكنولوجي الحاصل في العصر الحالي، وبروز نتائجه وانجازاته ومخترعاته المتعددة علي مجمل وسائل الحياة ومحركاتها الأساسية، بعد أن شكلت هذه التكنولوجيات العنصر المهم ضمن العناصر الفاعلة في آليات التطور الحضاري والثقافي والعلمي بكل أشكاله وتقنياته ومسمياته ومستلزماته وانعكاساته المباشرة علي واقع الحياة وثقافة الإنسان.. يبرز هنا السؤال المهم، والأكثر جدلاً ودقة في ماهيته وأرضيته: تُرى أين يقف الإنسان من هذا التطور التكنولوجي؟ وأين يكمن موقعه في هذا السباق، الذي أوجده هو لنفسه، وراهن عليه حتى نهاية المشوار؟ وأين تقف الثقافة من هذا السباق، وأين يكمن موقعها من الشواخص التكنولوجية الهائلة، التي تكاد تستحوذ على المساحة الأكبر من حركة الإنسان ومداره، وتشغل تفكيره، وجل اهتماماته؟.

وأمام هذه القضية الشائكة يزداد الجدل والنقاش، وتتوسع الرؤى والأبعاد والمحاور حولها، دون الوقوف عند حد معين من التحليل والنتائج فيها، إذ كلما تطورت هذه القضية وتوسعت أبعادها وأخذت محاورها بالاتساع، تشعبت أكثر، وتوسعت الرؤية لها.. وذلك لاتصالها المباشر وغير المباشر بأكثر من محور وبعد ومدار ضمن وعي الإنسان وكيانه، ومجمل مفاصل الحياة التي يشكل الإنسان قطبها البارز، ومحركها الأساسي. ولكيلا نبعد عن محورية هذه القضية، ونحيط بجوهرها، لابد من الانطلاق في ذلك من تحديد ماهية الإنسان وخواصه الحياتية وما يحمله من طاقات وفاعليات ونشاطات وتجددات من جهة، وماهية التكنولوجيات الحديثة وفاعلياتها وتجدداتها المتسارعة كل يوم من جهة أخرى، لنصل بالنتيجة من ذلك إلى تشخيص العلاقة الجدلية بين البنيتين، أي بنية الإنسان وبنية التكنولوجيا، لنعرف أيهما يؤثر في الآخر، وأي منهما ينشط الآخر، ويستجيب له، ويدفعه

بالاتجاه الصحيح من التطور الإيجابي في واقع الحياة.. وعند ذلك يمكن لتواصل الجدل والنقاش حول الإنسان والتكنولوجيا في الواقع الثقافي الجديد من العصر الرقمي، أن يعطي نتائج وثماره التي تنتقل بالإنسان ووعيه إلى التطور العلمي والوعي الحضاري والسلوك البناء في مجمل تأملاته وإنجازاته وتخيالاته واستنتاجاته العلمية.. وبهذا المؤشر أصبحت هناك رؤية جديدة للثقافة والإنسان والحياة، تحددها طبيعة التطور التكنولوجي والحضاري وما وصل إليه من محصلات ونتائج متحكممة في بروز السمات الجديدة للحياة، إذ تأخذ العناصر التكنولوجية الاتجاه الأوسع في هذه السمات، وصياغة ملامحها الثقافية والحضارية والاجتماعية في الواقع الجديد للإنسان، أي إن علمية الإنسان وثقافته التطورية أخذت تقاس بمدى استجابته للعناصر التكنولوجية في ثقافته (أخذ وعطاء)، ومدى تفاعلاته الحية مع التكنولوجيات الآلية والثقافية في مجمل حياته، هذا يعني أن شروط وسمات المثقف ومقوماته العلمية، ما عادت نفسها الشروط والسمات والمقومات التقليدية السابقة، التي يركز عليها ومن خلالها تتضح سمته الثقافية، ومقومات شخصيته العلمية في إطارها الثقافي، إذ أضافت لها التكنولوجيا شرائط جديدة، ومعرزات مضافة تعزز وجوده الثقافي وتحدد ملامحه العلمية والحضارية العصرية في طورها التكنولوجي المتقدم الذي تقاس من خلاله آليات تكامله الثقافي والعلمي.

* المنظار العلمي للواقع الجديد

وإزاء هذه القضية الشائكة، أصبحت هناك إشكالية كبيرة أكثر تعقيداً من الإشكاليات الثقافية والعلمية السابقة، تتركز في حجم السعة التي أصبح يدور فيها العامل الثقافي في الحياة العامة وتوسع المحصلات الثقافية في الواقع الجديد، وهذه الإشكالية في إطارها العلمي، أصبح لها أكثر من وجه، وأكثر من دلالة وأكثر من تفسير، لاتصالها أساساً بالنشوء العلمي والمعرفي والحضاري للإنسان أولاً، وللتطور العلمي والثقافي والحضاري والتكنولوجي للحياة ثانياً.. وبذلك بات من البديهي والمسلم به النظر إلى الحياة في واقعها التكنولوجي الراهن، من خلال المنظار الثقافي نظرة علمية لا تخرج على الرؤية

التكنولوجية في اتجاهاتها المتعددة، التي تحركها الآلة وتقنياتها المعلوماتية الشائكة والوعي باستخداماتها وانسيابية خدماتها المتعددة الأغراض، بعد أن سيطرت هذه الآلة على مفاصل الحياة المهمة وراحت تسييرها بتحكم تقني مبرمج من وعي الإنسان وثقافته العلمية وخبرته وإنجازاته الابتكارية التي وصلت إلى مستويات متقدمة من التقدم العلمي المذهل الذي أعطى الآلة التكنولوجية كل هذا الزخم، وهذه الأهمية، حتى أصبحت سمة أساسية من سمات التقدم والتطور العلمي والحضاري والثقافي والاجتماعي للإنسان في عصره الحديث، الذي اعتمد العلم والعلميات وهو يخطو في خيالاته وتأملاته وصياغاته لشكل الحياة وحاجاتها وطرق العيش المتقدمة التي يخطط لها في الحاضر والمستقبل، بعد أن حفزه خياله وتفكيره العلمي إلى ما هو عليه من مستويات في التخطيط والتحقيق العلمي علي أرض الواقع، الذي جعله يؤمن إيماناً كبيراً بأهمية التلاحق الموضوعي بين الخيال والواقع في الإعجاز العلمي وحتمية تحقيق المتخيل العلمي في واقع الحياة بعد أن تحقق له بعض مما هو في الخيال وفي الحلم في شكل الآلة وتقنياتها، وهذا ما جعله أكثر دقة وعلمية وانحيازاً في نظراته الكونية إلى العلم والوقائع العلمية في الواقع الذي يحياه ويتمناه ضمن الممكن العلمي المتخيل لشكل المستقبل وتقنياته التكنولوجية، خاصة بعد أن أدت التطورات التكنولوجية الحديثة في وسائل الاتصال الإعلامية والثقافية دوراً كبيراً في تعزيز الرقي والتقدم للإنسان، وفي ردم الحواجز بين الشعوب والأمم، من أجل تسهيل عمليات الاتصال السريع بكل مظاهره واتجاهاته، فحلت الإنترنت والهاتف النقال والبث الفضائي عبر الأقمار الصناعية محل الوسائل الاتصالية التقليدية، بعد أن أظهرت تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في العصر الرقمي مهارات عجيبة وخدمات لا حدود لها، تعجز عنها الوسائل التقليدية القديمة، حيث حل (البريد الإلكتروني Email) وعبر الإنترنت، محل (البريد العادي) في المراسلة والمخاطبة، و(الهاتف النقال) محل (الهاتف السلكي التقليدي) وغير ذلك الكثير من الوسائل التكنولوجية الحديثة التي حلت محل الوسائل القديمة، بل تكاد تلغيها شيئاً فشيئاً.

كل ذلك قد جري بفضل العلم ومخيلته المبدعة التي توصلت إلى صناعة هذه الوسائل والابتكارات العلمية وتجسيدها في التقنيات الإلكترونية البارة، التي لم تقف عند هذا المستوي من التطور، بل راحت تتوسع وتنشط في الارتقاء بهذه المبتكرات بفاعلية أكبر وأوسع، فأوجدت (الهاتف النقال المصور) الذي ينقل لك صورة المتحدث مع صوته، وكذلك طورت من إمكانية البريد الإلكتروني عبر الإنترنت ، فجعلت من التخاطب في هذا الأمر يتم (صورة وصوتاً) وأنت في مكانك أمام جهاز (الحاسوب)، وربما في المستقبل القريب سيحمل هذا (البريد الإلكتروني) البضائع والطرود البريدية مثلما يفعل ذلك البريد التقليدي.

إن هذه المظاهر الإلكترونية في العصر الرقمي وجدت لتحديث ثورة كبيرة في الصناعة والحضارة والعلوم والثقافة والسلوك الإنساني، بعد أن جعلت العالم الواسع والمترامي الأطراف في مدار واحد، وعبارة عن قرية صغيرة يتفاعل فيها الإنسان تفاعلاً ثقافياً واجتماعياً وعلمياً واتصالياً بعضه مع البعض الآخر دون معوقات، وينفتح إنسان هذه الحضارة علي ثقافة الإنسان الآخر في الحضارات الأخرى المجاورة في القارات البعيدة بكل يسر، وبات الإنسان الحديث رهن التقنيات التكنولوجية في الوسائل الاتصالية للحصول على المعلومات واكتساب الثقافة والعلوم والمعارف من أوسع أبوابها، على الرغم مما يكتنف هذه العملية من سلبيات ومخاطر تهدد الخصوصية الثقافية لكل مجتمع، إلا أن ذلك يمكن تداركه وتشخيصه من خلال الوعي الثقافي واكتساب المعرفة الكاملة لتحسين الذات من منزلقات الثقافات الأخرى التي تنفتح عليها تكنولوجيا الاتصال.

وبطبيعة الحال فإن المتغير الزمني، هو الذي يجعل التطور الثقافي بمثابة الحتمية المتوقعة، في تغير التاريخ والأشكال والوسائل والإنسان مثلما يعبر عن ذلك ليسلي وايت في قوله: (يمكن أن نعرف التطور على أنه تتابع زمني للأشكال ينمو شكل من شكل آخر، وتتقدم الثقافة من مرحلة إلى أخرى،

وفي هذه العملية يكون الزمن عاملاً كاملاً مثل التغيير في الشكل⁽¹⁾.. هذا التغيير هو الذي يأخذ الأزمنة والمراحل من حال إلى حال، ويجعلها بغير ما كانت عليه، وبذلك ننظر إليها نظرة أخرى نسميها (التغيير) أو نعتقد أن ما وصلت إليه بهذا الحال إنما هو نوع من التنمية الجديدة، أو التطوير المتواصل الذي دفع بها إلى هذا المستوى المتقدم.. ولكن هل تصاحب مع هذا التغيير أو التقدم في بنية الثقافة تغييراً في آلية (القيم) التي تحملها الثقافة؟.

وهناك من الناس من يحمل نيات طيبة للحفاظ على ثقافته وخصوصيتها من الاختراق أو التآكل بتأثير الثقافات الأخرى الوافدة.. مثلما يذهب سكينر في هذا الاتجاه إلى القول أن كل من يهتم بمستقبل ثقافته سيعمل ما في وسعه لتصحيحها⁽²⁾ وهذا القول هو المدخل الصحيح لفهم التطور والتغيير الثقافي بدرجة عالية من المسؤولية والصواب العلمي الذي ينطلق من القيم وآلياتها في بنية الثقافة، إذ إن هناك نوعين من القيم، نوعاً سلبياً ونوعاً إيجابياً، وما ذهب إليه سكينر هو تصحيح الثقافة من القيم السلبية، ليأتي التغيير في المسار الصحيح، والتطور الثقافي منسجماً مع طبيعته القيمية حين يدفع بالقيم الإيجابية إلى التعزيز والبروز بشكل إيجابي يعبر عن حصيلة التغيير والتطور، وإلا ما معنى التغيير والتقدم في الشكل الثقافي دون بروز هذا التغيير والتقدم في منظومة القيم التي تحملها الثقافة واتضح التمييز بين الإيجابي والسلبي في القيم التي تحملها الثقافة في جوهرها الذي يعبر عنه الإنسان في سلوكه؟.. إذاً السلوك الإنساني هو مقياس التطور الثقافي ومختبره العلمي.

* الفرد والتطور الثقافي

بهذا المفهوم يمكن التأكيد هنا أن التطور الثقافي لأي مجتمع من المجتمعات

(1) L aslie, A, white, Theevoution Of xuitute (New York) Meg raw _ Hill Book co. (1959)

(2) سكينر (1980) تكنولوجيا السلوك الانساني - ترجمة: عبد القادر يوسف، عالم المعرفة، المحبس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت

لا يعني بأي حال من الأحوال اعتماد هذا المجتمع على التقنيات العلمية العالية، وعلى المنظومات التكنولوجية المتقدمة في استخداماته ووسائله الأساسية فحسب، ما لم ينعكس هذا التطور- مادياً ومعنوياً - على شخصية الفرد ونظمه السلوكية، وطرق تعامله مع الآخرين، بحيث تكون لهذا التطور علامته الواضحة في سلوكه الإنساني، أي أن يكون هذا التطور واضح السمات (المادية وغير المادية) في شخصية الفرد وتلازماته المعرفية والثقافية والاجتماعية مع الآخرين داخل المجتمع، لأن الإنسان في سيرورته وتغيراته وإبداعاته هو الذي يقف وراء هذا التطور، وهو المخطط له، وهو المؤثر والمتأثر في نتائجه وفاعليته، وهو بالنتيجة الكلية يعد- أي الإنسان- الغاية الجوهرية للتطور، والمرآة التي تعكسه على مجمل حركته وطبيعته وثقافته في مناحي الحياة وأنظمتها المتعددة في المجتمع، فالثقافة أو الحضارة كما يصفها البعض من المفكرين في معناها الشامل، هي التطور الفردي، أي أن تعمل على تطور الفرد قبل المجتمع.. لتسهل أمامك عملية تطور المجتمع.. فتطور المجتمع لا يحدث ولا يكتب له النجاح بتطوير مجاميع أو طبقات أو أجزاء معينة من المجتمع، ما لم يبدأ هذا التطور من الفرد لينمو ويأخذ مداه في الأفراد الآخرين.. فالفرد هو النواة بالنسبة للتطور، كالنواة أو الجذر بالنسبة للشجرة، إذ لا يمكن لك أن تجعل هذه الشجرة نامية، وترجو منها نتائج طيبة في إعطائك ثمارها من خلال اهتمامك بغصن دون سواه من أغصانها، أو تترك الأغصان وتهتم بالساق فحسب، ما لم تهتم بها كلياً من الأساس والأساس في ذلك لكي تحيي الشجرة، وتحصل على نتائجها الجيدة، أن تهتم بالدرجة الأولى بالجذر، وتحصر كل الحرص على صلاحه وثمره في التربة الصالحة.. وبذلك تحصل على شجرة مثمرة، دائمة الخضرة والعطاء.. كذلك هو الحال بالنسبة لتطور ثقافة المجتمع، التي تحتم في تطورها الكلي والطبيعي، أن تبدأ بالفرد وتطوره الطبيعي، ليصبح نواة التطور الكلي.. فالتطور الفردي، أو تطور الفرد، هو الذي يقود إلى تطور البني والمؤسسات والمناخات والمنظومات الثقافية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية والصناعية،

بالقدر الذي يعزز من أهمية الدور والمسؤولية لهذه البنى وفاعلياتها في أخذ مكانتها في الشخصية الفردية أولاً، بوصفها- أي الشخصية الفردية- أساس النسيج الاجتماعي.. والتأثير والاتساع في الشخصيات الجماعية ثانياً، بوصفها إطار النسيج الاجتماعي، وبالتالي يحصل الاتساع والتلاقح الثقافي ونموه الطبيعي في المجتمع، وبذلك تنتقل الثقافة من الفردية إلى الجماعية ومن الجماعية إلى الكلية، بوعي تام وأساس صحيح، لتؤسس قواعدها ونظمها وسلوكياتها وبرامجها وقيمها في الإنسان والحياة بشكل علمي صحيح يقود المجتمع إلى المدنية، ويعزز من مؤشرات النظام والقانون والأخلاق والدين والعلوم والآداب والفنون والتقاليد، وغير ذلك مما هو شاخص في شمولية الدالة القيمية للبنية الثقافية في وضعها المتغير الذي لا يتقاطع مع معايير العلم التجريبي ومساره في تغيير وتطور ثقافة الفرد في أفعاله الاجتماعية، كون الثقافة في المنظور المعياري هي الفعل الاجتماعي الفردي الذي يدفع ويوسع الأفعال الاجتماعية للجماعات الاجتماعية، مثلما يؤكد ذلك الأستاذ محيي الدين إسماعيل، ويتوسع أكثر حين يقول: (إن مجال التحديد اتسع من كون الثقافة إمداداً بالمعرفة الموضوعية للفرد، ليكون فعلاً اجتماعياً أهم وأوسع، بمعنى أنه فعل اجتماعي يتضمن الدفع نحو التقدم العقلي والنفسي للجماعة الثقافية أو المجموعة الثقافية في إطار بيئة معينة، كما يمكن من خلال هذه البداية في تحديد تعريف للثقافة أن نتسع بمدلول اللفظة فنقول مثلاً الثقافة العربية، الثقافة السلفية، الثقافة السكسونية، الثقافة الجرمانية، ثم نتوسع في المدلول إلى أمده الأقصى فنقول الثقافة الإنسانية⁽¹⁾.. بمعنى أن الثقافة مفهوم عام يشترك في صياغته البشر أجمعون، على اختلاف شعوبهم وقومياتهم ولغاتهم، ولكن هذه الثقافة الإنسانية التي صاغتها وغذتها الشعوب كافة، هي المجموع الكلي الذي يشمل خصوصيات كل شعب من الشعوب، وما يتميز به هذا الشعب من تقاليد وقوانين وآداب وفنون وأنظمة، وأحياناً تلتقي ثقافة شعب ما مع ثقافة شعب آخر،

(1) [إسماعيل محيي الدين (1993) مطارحات ثقافية، دار الشؤون الثقافية بغداد، العراق .

وأحيانا تتقاطع معها.. وهذا شيء طبيعي، لان الخصوصية هي التي تفرض ذلك، بالانطلاق من نوعية التقاليد والأنظمة والمعتقدات التي لا تتشابه مع غيرها لدى شعب آخر، وهذا ما يجعل الحفاظ على الهوية الثقافية، حفاظاً على الخصوصية والتميز، ودفاعاً عنها على مدى التاريخ الحديث بعد أن توصل إلى هذا المفهوم وعمقه في ذاته، أبان تطور الظاهرة الثقافية في الفعل الاجتماعي للفرد وللجماعات الاجتماعية في المجتمعات المختلفة، في أجيال متقدمة على المراحل المتأخرة للمجتمعات البدائية الأولى وما بعدها، والتي لم تدرك منطق الثقافة وأساليبها، ولا العلم والمدنية، بالمفهوم الذي عرفته الأجيال الأخرى لهذه المجتمعات في أطوارها المتعاقبة، وصولاً إلى المرحلة التي نشأ فيها المجتمع الطبقي، الذي بني أساساً من طبقتين اجتماعيتين متناقضتين، هما طبقة العبيد وطبقة الأحرار.. حيث كانت الأخيرة هي المتحكمة في أنظمة الحياة والعمل والإنتاج والثقافة في المجتمع.. وهي التي كانت تحدد السلوك الثقافي في محيطها البيئي، وفق منظورها الخاص، ومفاهيمها التي كانت تفرضها قسراً، طبيعتها الطبقية في المجال الضيق.

* التطور في المجتمع الطبقي

إن المجتمع الطبقي لم يعن بتطور الفرد كفعل اجتماعي له دوره في عملية التطور، إنما سعى إلى تطور المجاميع الاجتماعية الصغيرة المتنفذة، المنضوية تحت المفهوم العام المسمى بـ (طبقة الأحرار) وهذا المفهوم هو الآخر تنضوي تحته مفاهيم فرعية عديدة تسمى (طبقات) كالطبقة الحاكمة، والطبقة المالكة، وطبقة النبلاء، والطبقة الأرستقراطية، والطبقة الإقطاعية، وغيرها.. وعملت هذه الطبقات على تحصين وعيها وأفكارها ووسائل عيشها ومستواها بالشكل الذي يضمن لها البقاء الطبقي المتميز، وبذلك راحت تتصرف وفق هذا المنظور، وهذا العمل للحيلولة دون تمييع مستواها الخاص في المستويات الأخرى.. فكانت ترسخ مفهوم (العبودية) في الإخضاع لها من جانب (العبيد) وفي الوقت ذاته كانت ترسخ مفهوم (الحرية) المطلقة لها، للتحكم المطلق في مصائر الطبقات المنسحقة، فجاء تطورها على حساب تأخر

الآلاف من البشر، وقد كان هذا التطور محدوداً في سماته، ومحصوراً في حركتها فحسب.. وهذا ما تقصده هذه الطبقات لكي تحافظ على ميزتها وتقاليدها ونظمها الخاصة، بعد أن عملت هذه الطبقات على جعل هذا التطور منها وإليها، ويخدم أفكارها وأساليبها واتجاهاتها الطبقية، ومفاهيمها الثقافية.

وبعد أن أصبح لكل طبقة من هذه الطبقات مصالحها الخاصة التي تدافع عنها دائماً بكل السبل المشروعة وغير المشروعة، والتي تجلت في مظاهرها الثقافية والاجتماعية وعاداتها وأساليبها التي تنفرد بخصائصها الطبقية ضمن المجتمع الواحد.

وهذه الطبقة في العيش وفي التعامل الاجتماعي، لم تقد إلى تطور البنية الثقافية العامة للمجتمع، ولم تسع إلى تطور الفرد، كنواة للتطور العام، كما ذكرنا، بل سعت دائماً إلى تعزيز مكانتها هي، ووضع الحواجز بينها وبين طبقات الشعب الأخرى، من خلال ما كانت تسنه من قوانين وأعراف خاصة، وتعمل على تطبيقها على الآخرين كيفما تشاء، بروح من الأنانية الطبقية التي تسعى إلى إشاعة (الجهل) وبذل المزيد منه في عقلية التابعين لتلك الطبقة، لتبقى وحدها- أي الطبقة المتنفذة- هي العارفة، العالمة، المتحضرة دون سواها.. فكان الجهل هو السمة السائدة في هذه المجتمعات، وهو الذي يديم وجود هذه الطبقات، ويديم الإخضاع لها.

وللجهل سمتان كبيرتان، هما (الجهل المبتذل) و(الجهل العليم)⁽¹⁾، كما خلص إلى ذلك المفكر الفرنسي جان فوراستيه، حين ذهب إلى تفسير هذا التحديد بقوله: (إن الجهل العليم هو الجهل الذي يشعر به ويفهمه كل إنسان، والذي لا يمكن لغير العارفين الاختصاصيين الذين انصرفوا إلى دراسة مشكلة صعبة في الغالب أن يحسوا به ويفهموه، أما الجهل المبتذل، أو الجهل المطلق، أو الجهل الشائع كما يسمى بحسب تفسير فوراستيه فهو ذلك الجهل الذي ينجم عن الأسئلة التي يود كل إنسان لو يطرحها، والتي

(1) فوراستيه، جان (1969) معايير الفكر العمي، ترجمة: فايركم نقش، منشورات عويدات، بيروت لبنان، الطبعة الأولى

لا يمكن لأي إنسان أن يجيب عليها⁽¹⁾.

وبتعبير أدق في كلمة (مبتذل) كما ذهب الأديب والفيلسوف الفرنسي ليطريه (1801-1881)، فإنها تقال في الأشياء التي كان التابعون لإقطاعية ما ملزمين باستعمالها مقابل دفع إتاوة لصاحب الإقطاعية⁽²⁾.

لذلك كان الجهل المبتذل على رأس الجهالات المتعددة التي ساعدت على حصر الثقافة والتحضر، وتطورهما في حدود الطبقات المتنفة زمنياً طويلاً، حتى برزت العقلية المفكرة، المتنورة، بشكل واسع من جدلية التلاقح المعرفي في البحث والاستقصاء بين ما هو عليم وما هو مبتذل من جهل للوصول إلى حقيقة الحياة وأحداث التغيير والتطور في مستوى الإنسان ووعيه ونظم حياته، وذلك بانتشار الأفكار والآراء والمفاهيم والمكتشفات، التي جاء بها الفلاسفة والمفكرون والمصلحون والمكتشفون، الذين راحوا يواجهون الطبقات المتنفة بقوة، تكمن بقوة العلم التي قدرت لهم أن يشكلوا من خلالها طبقة اجتماعية معارضة للأساليب والتقاليد السائدة، يمكن تسميتها بـ (الطبقة المتحررة) أو (الطبقة المتنورة) أو (الطبقة المثقفة) التي ساعدت على نشر الوعي العلمي والثقافي، واتساع المعارف في البيئة الاجتماعية، فساعد ذلك على التغيير.

* نظام الإسلام ونظم التطور

إن حال التغيير ألتنوري انسحب على حال المجتمعات الواسعة، على اختلاف لغاتها ومكوناتها، وثقافتها، حتى وصل إلى المجتمع العربي في الجزيرة العربية، والذي كانت تحكمه (القبلية العصبية) على وفق نظام (الطبقة المتنفة) بروح التعصب الجاهلي، الذي ساد فيه مفهوم (التمييز العنصري) والتمايز الطبقي، بين العبيد والأحرار، وجعل الإنسان سلعة تعرض للبيع والشراء في (أسواق الرقيق) إضافة إلى انحطاط الأنظمة الأخلاقية والأسرية والاجتماعية التي تحكم الأفراد والجماعات في المجتمع، مع اتساع رقعة

(1) المرجع نفسه ، ص 211

(2) المرجع نفسه ، ص 236

(الجهل المبذل) في نفس الفرد وذاته، وزاده شعوراً بالخوف، والظلم، وعدم التعايش السلمي مع الطبيعة ومع الآخرين ومع النفس أيضاً، لشعورها بالخواء، وظلام التخلف، وثقله في الوعي، وفي العيش، وفي الحياة السائدة في العصر الجاهلي، حتى جاء المصلح لكل هذه الأوضاع، والساعي إلى نقل الإنسان من الظلام إلى النور، وتنظيم الحياة من جديد على وفق المبادئ الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الصحيحة، التي أرادها الله سبحانه وتعالى لعباده من بين البشر أجمعين، فأرسل رسوله المصطفى محمد (ص) ليهدي الناس إلى طريق الحق والإيمان والعدل والنور، لقوله تعالى في الآية السابعة والعشرين من سورة الفتح : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً) فكانت بعثة النبي محمد (ص) من بين قومه في الجزيرة العربية بداية النور والعلم والإصلاح والتطور في مجتمعات هذه الجزيرة، لتعم بعدها المجتمعات الأخرى، فكانت الرسالة الإسلامية التي حملها النبي محمد (ص) رسالة عدل وإصلاح وبناء وإعداد وإرشاد وإيمان وتحرر وتطور وخير لكل البشر، من خلال ما بشرت به هذه الرسالة الخالدة من هدى في شريعتها السمحاء التي جاء بها القرآن الكريم لتضع لكل مشكلة حلها.

ومن المشاكل الكثيرة التي كانت قائمة آنذاك في المجتمعات الجاهلية، هي مشكلة العبادة، ومعالجة هذه المشكلة يعد الأساس لمعالجة المشاكل الأخرى، ونقل الإنسان من حال إلى حال، ومن واقع إلى واقع آخر، فدعت الشريعة الإسلامية في أول ما دعت إليه هو التوحيد وعدم الإشراك بالله، وجعل العبودية لله وحده، لا شريك له، وساوت بين بني البشر، كل على حد سواء، ولا فرق بين العبد والحر، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، والعربي والأعجمي، إلا ميزة التقوى، التي يتصف بها الإنسان كأننا من يكون، لقوله تعالى في الآية الثانية عشرة من سورة الحجرات: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) هكذا يريد الله الناس، وبذلك فقد ألغت هذه الآية

المباركة مفهوم (الطبقية) وأسلوب الاستعباد الذي كان سائداً حينذاك، وأحيت مفاهيم العدل والمساواة بين الناس والقبائل والشعوب.

كذلك عملت تعاليم الإسلام على ترسيخ هذه المفاهيم بين الأفراد في المجتمعات المختلفة، وعالجت الكثير من المشاكل والظواهر والعادات والتقاليد البالية، في الجوانب الاجتماعية والثقافية والتربوية والاقتصادية والسلوكية، وغيرها الكثير الذي لا مجال لحصره هنا، والذي شكل بمجمله وعياً جديداً بواقع الحياة، مبعثه العقل، ومحركه الأساس العلمي لحركة الكون والإنسان والحياة، وهذا الوعي في حقيقة الوجود وعلية الخلق التي انطلقت منها العقيدة الإسلامية، فقد عاب رسول الله (ص) على قومه أن يأسروا أنفسهم للتقاليد والعادات الموروثة عن آبائهم وأجدادهم دون التفكير منهم في مدى صلاحياتها أو فسادها، ودعاهم إلى تحرير عقولهم من أسر الإتياع الأعمى، وكل ذلك، كما يؤكد الدكتور عبد العليم عبد الرحمن (ليعلمنا أن الدين جاء حرباً على التقاليد والدخول في أسرها، لأن الدين قائم على أساس العقل والمنطق السليمين، على حين أن التقاليد قائمة على مجرد باعث الاقتداء والاتباع)⁽¹⁾.

لقد كان القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أساس التشريع الخالد للمسلمين في كل زمان ومكان، وهو المعجزة الخالدة التي حملها الوحي وأنزلها على صدر النبي المصطفى محمد (ص) حيث جاء التنزيل الأول حاملاً للأمر الإلهي للنبي (ص) يأمره قبل كل شيء بالقراءة التي هي أساس العلم والتعلم لقوله تعالى في الآيات الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة من سورة العلق: (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم). و (اقرأ) كما يقول الدكتور عبد العليم عبد الرحمن (هي أول ما نزل من القرآن الكريم على النبي محمد (ص)⁽²⁾ فكانت البداية التي غيرت مجرى

(1) عبد الرحمن، عبد العليم (2000) شخصية الرسول محمد (ص) بداية مبعث النبي (ص)، دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد.

(2) المرجع نفسه.

التاريخ، وانطلقت لتضع التشريع السليم، للسلوك القويم ولانطلاقة الإنسان الجديدة في التغيير والهداية والتطور والسير بالاتجاه الصحيح من الفرد إلى الجماعة، لا من الجماعة إلى الفرد كما أشرنا سابقاً، إذ بدأ الإسلام رسالته المحمدية الخالدة بشخصية الرسول الأعظم (ص) حامل الخلق العظيم كما يصفه القرآن الكريم بقوله تعالى في الآية الرابعة من سورة القلم : (وإنك لعلی خلق عظیم) ، ثم راح ينتشر من ذات الرسول (ص) إلى الأقربين، وبعدها إلى الناس أجمعين كما جاء في أمر الله سبحانه وتعالى إلى الرسول (ص) لقوله جلت قدرته في الآية السادسة والثلاثين من سورة الشعراء: (وأُنذِر عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ). وقد كان في ذلك حكمة من الله لنجاح الرسالة الإسلامية في دعوتها التي كانت سرية في بادئ الأمر، ولسلامة الرسول من الأذى وطغيان المتجبرين من آل قريش، لأنهم حينها ما كانوا مهيين لاستيعاب وفهم الدين الجديد، الذي جاء من أجل التغيير وضبط السلوك الإنساني من منزلقات الانحراف وظلام الجهل إلى الوعي الثقافي والعلمي والاجتماعي الذي ينطلق من فطرة الإنسان ويستدل بالدليل المنطقي والعلمي على إنسانية هذا الإنسان.

* عوامل النهوض بالتطور

إن حال التغيير والتطور الثقافي ما كان يحدث لو لم تكن هناك حاجة أساسية له، وعوامل سببية تدعو إليه وتساعد على تحقيقه، ففي مجتمعات الجزيرة العربية في العصر الجاهلي كما أسلفنا، كان الجهل والانحلال الأخلاقي والتربوي والثقافي، وفقدان الروابط الاجتماعية والأسرية بين الأفراد والقبائل والجماعات، إضافة إلى الإشراك بالله من خلال عبادة الأصنام وقتل النفس ووأد البنات وشيوع الرق والعبيد والمفاهيم والتقاليد الخاطئة التي سحقت الإنسان الفقير وحطت من كرامته وطاقته.

كل ذلك وغيره الكثير من العوامل قد دفعت إلى التغيير الشامل الذي حمل نوره الرسول محمد (ص) في نشر الدين الإسلامي بشريعته السمحاء، أما في المجتمعات الإنسانية الأخرى، فقد كانت دوافع التغيير كثيرة، خاصة

في المجتمعات الطبقيّة التي شاع فيها التخلف والجهل والظلم من الطبقات القويّة على الطبقات الضعيفة فنهض المتنورون لأحداث التغيير المطلوب في هذه المجتمعات، وذلك بعد أن توضحت معالم (الطبقة المثقفة) ببرز الفلاسفة والمفكرين والمصلحين والمكتشفين لتفعل فعلها في تنوير الشعب وإفهامه وإحداث فعل التغيير والتعليم لدى الفرد، فكان المفكر أو الفيلسوف أو المصلح أو المكتشف فرداً مثقفاً، متنوراً، عالماً، متعلماً، أثر في الفرد، وهذا الفرد أثر في الفرد الآخر، وهكذا في الأفراد الآخرين، والآخرين نقلوا هذا التأثير إلى الآخرين، حتى كانت هناك (طبقة الشعب المتنورة) أو طبقة المتعلمين أو طبقة المثقفين التي كانت طبقة مغايرة لما هو سائد من جهل وتجهيل وسيطرة واستعباد وتمييز وقهر، وغير ذلك من أعراف وممارسات تحط من إنسانية الإنسان ووعيه وطاقاته، فبدأت الأفكار والمكتشفات تقود إلى تعزيز التطور الفردي الذي يقوض الأنانية والأنا في الوعي والمعرفة، وهذا التطور بدوره قاد إلى معرفة الإنسان لإنسانيته وحياته وما يحيطه، وسعى من خلاله إلى وضع الحد الفاصل بين الجهل والعلم، وتسبق إلى اكتشاف المزيد من المعارف والعلوم، حتى توسعت أفكار الفلاسفة والمفكرين والعلماء، لتبرز فيها المسميات العلمية المتعددة التي توصلت إليها أفكارهم ومكتشفاتهم وتحليلاتهم ونتائجهم في البحث والتحليل والاستقصاء، وتتفرع إلى اتجاهات علمية متشعبة، خلصت إلى نظريات ومدارس ومذاهب واتجاهات مادية وغير مادية في السياق العلمي لدراسة الحياة وظواهرها، والإنسان وخواصه، وهذا الحال قد وضع أمام الإنسان أكثر من فرصة وطريقة لاكتشاف نفسه، والخلاص من جهله المادي والمعنوي، والتأسيس لرؤيته العلمية الشاملة للحاضر والمستقبل، من خلال المعرفة العلمية التي تعمل بشكل تدريجي على تقليص مساحة الجهل المبتذل، كما يذهب جان فوراستيه إلى أن (هناك أعداداً من الحقائق كانت من قبل جزءاً من الجهل، أصبحت اليوم جانباً من المعرفة، وذلك بغية تحسين مصير الإنسان المتوسط تحسيناً لا مرأى فيه، فلقد بات هذا الإنسان يعرف أكثر فأكثر كيف يعمل، مما أدى إلى ارتفاع

مستواه المعيشي، ويعرف أكثر فأكثر كيف يحمي نفسه من الأمراض، وكيف يعالج نفسه الخ..⁽¹⁾.

ومع كل الذي حصل من تقدم في العلم وجد الإنسان نفسه أمام كم هائل من النظريات والمدارس والمذاهب والتيارات والمفاهيم والتحليلات والاستنتاجات والمعالجات العلمية، في كل علم من علوم الحياة، جعلته في حيرة، وهو يدور في دوامة من التراكم العلمي الهائل، والمتعدد المفاهيم، في كل اتجاه من اتجاهات الحياة، وبهذا الكم العلمي، الذي أصبح الجزء الأكبر منه من الثوابت في القياس وتحليل النتائج، المعتمد لدى العلماء وعامة الناس، أخذ يتخبط في إثبات جدارته، وحقيقته أمام الظواهر الكونية والحاجات الإنسانية، وتعدد أوجه المشكلات الحديثة التي تواجه الإنسان، مما جعل الهوية واضحة بين هذه العلوم وتطبيقاتها الكاملة على أرض الواقع، ومثال على ذلك (الحالة المرضية وتشخيصها وعلاجها)، إذ نجد في بعض حالات المرضى، سواء الأمراض العضوية أم النفسية، أن هذا المريض أو ذاك لا يجد علاجه الشافي عند هذا الطبيب أو ذاك، مع أن هذا الطبيب أو ذاك هو المختص بما يعانيه هذا المريض من مرض، فليجأ المريض في الغالب إلى طبيب مختص ثالث، وأحياناً إلى رابع، وربما يجد أو لا يجد عند الخامس في بعض الحالات ما يشفيه من مرضه الذي سبق وأن تم تشخيصه، وهنا يبرز السؤال البديهي: هل تعدد المعالجات والخيارات في المشكلة الواحدة، يؤدي إلى علاجها بشكل صحيح، أم أنه يؤدي إلى تعاضدها وعدم تشخيصها بشكل سليم، مما يؤدي إلى فقدان فرص علاجها بشكل كامل؟ أم أن الخطأ في ذلك يكمن في المعالج ..؟ أو أنه يكمن في المريض نفسه؟ وأياً كانت الأسباب فهذا ليس من اختصاصنا، ولا نريد الخوض فيه ، بل إن ما يعيننا هنا في حقيقة الأمر هو التأكيد على أن تطور الحياة وتوسعها، يقابله تطور في مشكلاتها وتوسعها، وتعدد الخيارات في المعالجات المتعددة قد لا ينجح في المعالجة في المرة الأولى أو الثانية وقد ينجح في مرة أخرى، أو

(1) فورايتيه ، جان (1969) مرجع سابق

قد يخفق في التوصل إلى المعالجة الصحيحة... وأمام ذلك نصل إلى نتيجة لا تجافي الحقيقة، فمع التوسع العلمي الهائل، وما وصل إليه من معجزات وانجازات خارقة في المكتشفات فإن العلم مازال عاجزاً عن الكشف الكلي عن مساحة الحقيقة بالكامل، وأسباب ومسببات الظواهر والحالات المرضية التي تبرز على سطح الحياة الإنسانية والسبل الأنجع لمعالجتها .. وهذا ما يثير دهشة جان فوراستيه واعترافه بالقول: (إن من المدهش المثير أن نلمس حقاً، أن العلم يعطينا ومازال يعطينا منذ زمن طويل معلومات يستطيع الإنسان المتوسط العزوف عنها بكل يسر، ولا يقدم لنا تلك المعلومات التي نحتاج إليها حاجة مؤثرة، ولقد كنت من جانبي دائم الذهول من التناقض شبه الماجن الكامن في واقع المعرفة المتناهية في الدقة لأوقات حجب كوكب المشتري لتابعه الخامس، والجهل بما هو النقد الثابت، وبطريقة تربية طفل صعب المراس، أو بكيفية معالجة الزكام؟)⁽¹⁾.

ويؤكد فوراستيه أن الفلكي هو دائماً الإنسان الذي يغفل فيسقط في البئر⁽²⁾ .. لذلك فهناك التواء جذري ومؤثر بين المنزلة التي ولدت فيها العلوم والمنزلة التي كان يتوق الإنسان لو خلقت فيها، وكذلك بين المشتبه من العلوم وبين التوسع الفعلي لكل فرع منها، فيقول: (كان يتوجب اطلاع الرجل المتوسط على ذلك، وبيان الأسباب له، فلربما أتاحت معرفته لتلك الأسباب تحسين سياق البحث على نحو ما)⁽³⁾.

وبهذا الصدد يتساءل هذا المفكر: (ولكن هل نستطيع لوم الرجل المتوسط على جهله ما يجهله العلماء أنفسهم؟ فكيف لا ينقم هذا الرجل المتوسط بوعي متفاوت على العلم لهذا الإذلال، وهذه التعرية، وهذا البؤس الذي جعله في حيرة من أمره تجاه الفهم العلمي على الرغم من استيعاب مسوغاته ونتائجه وتحليلاته، خاصة في مضمار العلم؟)⁽⁴⁾

(1) المرجع نفسه ،

(2) المرجع نفسه

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه

يبقى العلم، أي علم، مرهوناً بتقويم الإنسان له، من خلال ما يقدمه هذا العلم من مساعدة، ومن قيمة، ومن أهمية في تعزيز وجود هذا الإنسان، وتحسين سبب عيشه، وظروف حياته، بالقدر الذي يعالج فيه مشاكله، ويخفف من آلامه ويستجيب لحاجاته، ويحيد الأخطار التي تواجهه، ويدفع إلى تطوير قدراته وتعزيز قيمه الإنسانية والثقافية، والأخلاقية والدينية، والاجتماعية، ويساعده على الحياة الآمنة، بعد ذلك يأتي الحكم - بالسلب أو بالإيجاب - تجاه هذا العلم، مثلما استجاب لذلك بول إيلوار حين قال: (دعني إذاً أحكم على ما يساعدني على الحياة)⁽¹⁾.

مع أن إيلوار هنا جعل (الحياة) مفتوحة، سائبة على مصراعيها، ولم يحدد وجهتها، وقيمها في العيش، وما يحددها من مثل ومستوى، وبغض النظر عن ذلك، فإنه قد أراد إفهامنا، أن قيمة العلم تظهر بما يقدمه لنا من مساعدة لتعزيز الوجود في الحياة.. ولكن، يبقى هذا التعزيز مرهوناً بآليات التطور الثقافي والاجتماعي والصناعي والتكنولوجي، شرط أن يستجيب هذا التطور للبيئة الحضارية للمجتمع، ولقيم الفرد الأخلاقية والدينية والاجتماعية والثقافية، ومعزراً لوجودها في القيمة الإنسانية، لا ناسفاً لها، أو لاغياً لملامحها الشاخصة في محددات الهوية الثقافية، وإطارها الحضاري، بحجة التغيير والتطور، الذي يصبح لا معنى له دون النظر إلى الجذر، الذي هو الأساس في النمو والانطلاق نحو التطور الثقافي، والبناء الحضاري، والتطور لا يعني تقليد الآخرين المتطورين، والسير على نهجهم وتصرفهم وثقافتهم، بحجة التطور على شاكلتهم، وهذا المنظار لا يعني التطور، ولا يعني الوجهة الحقيقية لجوهر التطور، وهذا ما سنتعرض له بشكل خاص في مبحث لاحق، ولا بأس أن نشير هنا إلى اللوحة الجوهرية في ماهية التطور الثقافي والاجتماعي للإنسان، من خلال الحاجة ودوافعها في ذلك.

* الحاجة ودوافعها إلى التطور

إن المنطوق العلمي للتطور الثقافي والحضاري ينطلق أساساً من الحاجة وتطور

(1) الكعبي، فاضل (2005) أسس الثقافة العلمية - جريدة الزمان / بغداد

هذه الحاجة، بناء على قيمتها العليا، وفائدتها الأكبر من فائدة الحاجة السابقة، كذلك يعني التطور إيجاد ما هو موجود في المساحة الإنسانية، وغير متوفر أو غير موجود في مساحتنا الخاصة ضمن محيطنا الاجتماعي العام، من أساسيات الحياة في تطورها التكنولوجي المتناسق مع وجودنا، وإخضاع ذلك إلى الأنساق الثقافية والفكرية والاجتماعية والدينية والحضارية، التي تنشأ وفق مبادئها الأساسية - شكلاً ومضموناً - شرط أن يسبق هذا كله الوعي، نعم الوعي الذاتي للفرد، وتضاعده - فكراً وسلوكاً - بوتائر أكبر في التطلع والاطلاع، لتحصيل المعرفة واستيعاب العلم بأفاق واسعة، كذلك يدفعنا التطور الثقافي في منطوقه العلمي الصحيح إلى الاختيار النوعي الخاص في الكم العام للمشاع - إن صح التعبير - الذي لا يقودنا إلى التبعية إليه وإلغاء سماتنا الحضارية وخصوصيتنا الثقافية والحياتية ضمن محددات مجتمعتنا الذي لا بد له من التطور في كل المجالات ضمن ما يراه مناسباً ومتوافقاً وطبيعياً مع سماته وأنساقه التاريخية والأخلاقية والتربوية وقيم كل ذلك في بنيته الاجتماعية والسلوكية والثقافية، وهذا الاختيار يتطلب الفهم العالي لماهيته ومحدداته ودوافعه على أساس علمي سليم، مسبق بدراسة علمية لجذواه وتناسبه، من خلال الفرضية والسببية، أي تفترض بهذه الحاجة التي اخترناها إيجابيات كثيرة لتعميق وعينا والارتقاء بمستوانا، ولهذا الافتراض سبب، وهو وجود نقص في حاجتنا، أو أن حاجتنا متأخرة عن المتقدم من الحاجات لدى العالم، وهذا السبب هو الدافع إلى الاختيار، أي إن الفرضية والسببية هما اللتان دفعتهما الحاجة إلى تأمل شكل الاختيار في إطار التفكير، ثم يبدأ الدافع الحقيقي للاختيار، وصولاً بهذه الخطوة إلى واقع الاختيار ووقوعه الفعلي، وتلمس النتائج المطلوبة منه، وانعكاسها الإيجابي العملي على واقع الحياة الراهن وما نريده للواقع المستقبلي، ولا يأتي ذلك خارج إطار التفكير العلمي الذي يضع المعرفة العلمية في المقام الأول من هذا التفكير، الذي يقوم بإدراك الحقائق والواقع ويدفع باتجاه مراقبة الواقع والانتفاع منه بالتصور لتحقيق ملاحظات جديدة توفق بين الفكرة والملاحظة، أو تقود إلى تجارب جديدة، تنطلق من فرضية علمية تحيط بالواقع وتنشط في ملاحظة وقائعه وتبدلاته

ومستجداته، وفق آليات تطوره الثقافي والعلمي المدروس، وهذه الفرضية يجب أن تعطي موافقتها للواقع بحسب تفسير فوراстиيه، بإثبات أنها تسمح باستقراء صحيح لأحداث كانت من قبل غير متوقعة، وبتفسير وقائع لم تكن مفسرة، وربط عوامل كانت تبدو مفككة، أو كانت حتى غير ملاحظة قط، وهذا التفسير يقود إلى تصور شكل الوجود وعوامل تطوره، والآليات التي يخضع إليها التطور في سعته وحتميته في الإبداع والتجدد، وجمع الشتات التي لا معنى لها، وجعلها في إطار معين له معنى، وله قابلية الأخذ والعطاء في هذا المعنى، الذي لا يخرج على أساس وجوده، وأساس تفاعله الطبيعي المؤثر مع الموجودات الأخرى، فالإنسان بطبيعته يفكر ويتأمل ويتخيل ويحلم ويعمل ويخطط، يهدم ويبني، يقبل ويرفض، من أجل أن يصل إلى الحقيقة، حقيقة وجوده، وما يجب عليه فعله تجاه هذه الحقيقة، من تحسين تفكيره بها ورفع مستواه المعيشي والمعرفي في محيط الحياة الخاص والعام، ومن أجل ذلك عليه أن يتواصل بالقراءة والاطلاع والتعلم والدراسة والبحث إلى ما لا نهاية، لأن حركة العلم والمعرفة تتواصل إلى ما لا نهاية وعليه أن يتواصل معها (من المهد إلى اللحد) طلباً للعلم، وهو بذلك يواصل دأبه وجهده في الحركة والإدراك والتصور وإبداء الرأي والملاحظة بكل ما يستشعره ويواجهه ويتخيله في كل شيء يختص بوجوده ومصيره، مما يريده ومما لا يريده، مما يتحسنه ومما يستحسنه، سواء الذي يأتيه من ذلك، أو الذي يذهب إليه، أو الذي يفرض عليه، والواقع في نظرته إلى الحياة وتجدداتها، وهو لا يرضى بمستوى ما لم يتغير هذا المستوى إلى مستوى آخر أكثر تطوراً من المستوى السابق، ولا يرضى بحاجة ما لم تتغير بحاجة أخرى أكثر استجابة له من الحاجة السابقة، ولا يرضى بما هو عليه من معرفة دون أن يتوسع بمعرفته هذه إلى المعارف الأخرى التي تدرك الجهل الذي يكتنف حياته، ويلفها من كل الجوانب التي تدعوه إلى البحث المتواصل عن إجابات لا تنتهي لتساؤلات هي الأخرى لا تنتهي عن الدوار والتحسس في مخيلته وتفكيره العقلي والباطني، وتقوده إلى تشكيل الأفكار والملاحظات والفرضيات والنتائج، حيناً يخطئ وحيناً يصيب، حيناً يكون خيالياً وحيناً آخر يكون واقعياً، وهو في الحالتين يتحدى

السكون والرتابة، المهم أنه يفكر ويناقش ذاته ويفسر عوالمه ومصيره في هذا الوجود، وبالتعكز على (الفرضية) سواء بالتفكير العلمي في مسألة من مسائل البحث العلمي الذي يجمع ذوات الآخرين والروابط الأساسية في ما بينها، وعلاقة ذلك بالكمونات والروابط الطبيعية للحياة في المختبر العلمي، أم بالتفكير الذاتي في مسألة من مسائل تحسين الذات والانتقال بها من حال إلى آخر في مدار الشخصية وسماتها وحاجاتها، المهم في الحالتين أن يكون التفكير سليماً، والتحفز للإدراك قادراً على الفعل الإيجابي، في وحدة التفكير الذي ينشئ الفرضية، وهذه الفرضية يجب أن تكون صحيحة، ولكي تكون صحيحة كما يذهب فرينيل يجب (أن تقود إلى اكتشاف الروابط العددية التي تجمع بين الوقائع الأكثر نأياً في ما بينهما)⁽¹⁾ .. وتحصل على نتائج مصداقيتها في تفكير الإنسان أولاً، وعلى أرض الواقع المعنوي أو المادي ثانياً، لتجعل الإنسان بذلك يشعر بالتفوق والتجدد الذي قاده إلى التطور والوصول بنتائج هذا التطور إلى الاختيار السليم، إذ إن محفز هذا الاختيار هو محفز ذاتي للتطور بشكل ملموس، وهذا يأتي من عوامل ودوافع داخلية عديدة، لعل من أبرزها دوافع وعوامل تعزيز الوجود المعيشي والثقافي والاجتماعي بما هو أكثر استجابة للحاجة الإنسانية وفاعليتها القصوى بكل أشكالها في طورها المتقدم من الحاجة السابقة كما ذكرنا، وهنا علينا أن نميز بين الدوافع الغريزية والعقلية والفكرية والنفسية والثقافية والاجتماعية في اتجاهات الاختيار، على أن نشبع كلاً منها بحاجاتها الأساسية ومتطلباتها الملحة حسب الأسبقية والأهمية في ظرفها الطارئ، انطلاقاً من منطق العقل والواقع الذي يدعو إلى إشباع هذه الرغبة أو تلك، أو الاستجابة لتنفيذ متطلبات هذه الحاجة أو تلك بالسلوك الصحيح، وبالتصرف السليم، فعلى سبيل المثال: حين أكون عارياً ولدي مبلغ محدود من المال وأمامي في السوق ثوب وكتاب، والاثنان مهمان بالنسبة لي، ولكن محدودية المبلغ الذي أحمله لا تستجيب لقيمة الحاجتين في آن واحد، هنا عليّ أن أصل إلى الاختيار الصحيح، حين أفكر بالحاجة الأساسية التي تسبق الأخرى بأهميتها وفاعليتها لي في ظرفي الراهن، وهي الثوب

(1) المصدر نفسه .

الذي يستر عورتي، إذ ليس من المنطق أن أشتري الكتاب وأبقى عارياً، كذلك في ظرف آخر لا أكون فيه عارياً، وأشعر بجوع شديد وأمامي طعام وكتاب، ترى ما قيمة الكتاب الذي أشتريه بما أملك من نقود وأنا أتضور جوعاً، وهذا الجوع سيشغل تفكيري ويهرقه، وسيضعف صحتي وينهك قواي الجسمانية والنفسية والعقلية والفكرية، وكل ذلك بالنتيجة سيجعلني غير قادر على مطالعة الكتاب والاستفادة منه، وفي هذه الحالة فأُنسي لم أكن موفقاً في الاختيار، حين فشلت في تحديد الأولويات والأساسيات في حاجاتي، وأصبحت متخبطاً في إدراك الكيفية الصحيحة لإشباع رغباتي الأساسية في ظرفها الطارئ. كذلك الحال بالنسبة للحاجات والامتطلبات الحياتية الأخرى، إذ يجب أن تكون الاستجابة لها استجابة طبيعية وملحة، على سبيل المثال: إن جهاز التلفزيون (الأسود والأبيض) الذي أملكه ما عاد يستجيب لأفراد العائلة ورغبتهم التطويرية في إشباع متعة المشاهدة، بعدما شاهدوا لدى الجيران (الصورة الجميلة) التي يظهرها جهاز (التلفزيون الملون) وأنا هنا حين أستبدل جهاز التلفزيون (الأسود والأبيض) بآخر ملون، فهذا تطور طبيعي في مستوى الوسائل للعائلة، ولكن هذا التطور سيكون غير طبيعي حين أجد أطفالي يحيطون بالجهاز الجديد وهم يشعرون بالبرد في عز الشتاء وليس هناك (مدفأة) تقيهم من هذا البرد وخطره على صحتهم وحياتهم، إذاً حاجتي إلى التلفزيون الملون في مثل حالتهم أصبحت حاجة مترفة مبالغاً فيها وليست أساسية، وإن كانوا لا يملكون (التلفزيون) أو (المدفأة) وهم يشعرون بالبرد، فالأولى أن أوفر لهم المدفأة قبل التلفزيون، وهكذا يكون التفكير السليم والتصرف الطبيعي في تحسين الوسائل والظروف الحياتية بالاستجابة للمسؤولة للحاجات الأساسية ضمن أولوياتها الأهم ثم المهم ليكون سير التطور طبيعياً ومتناسقاً.

ثقافة الأطفال دلالات الهوية وجدل الحفاظ عليها

تأتي (ثقافة الأطفال) بمفهومها العام، من مجموعة خصائص، ومكونات تتشكل من خصائص الطفولة ومراحلها العمرية، التي تتميز عن غيرها من المراحل العمرية الأخرى بمجموعة من أنماط السلوك والميول والعادات والأفكار والمعايير والاستعدادات والاتجاهات التعبيرية والانفعالية وغيرها.. وهذا التمييز يمنحها صفتها الخاصة التي تتطلب أن تكون لها ثقافة خاصة تميز عن ثقافة المجتمع، وتلتقي معها في الإطار الاجتماعي العام، بوصفها ثقافة فرعية من الثقافة العامة.

من هنا تتشكل خصوصية (ثقافة الأطفال) واتجاهات هويتها الثقافية، والتي تنطلق أساساً من مجموعة (الموروثات الثقافية) ومن (المستجدات) التي تعزز هذه الموروثات، وتطورها، وتغنيها بكل ما هو جديد، ومتوافق، يوسع من مجالاتها وقيمها وعناصرها ويتيح لها التأثير الكبير في شخصية الطفل، وقيمه الثقافية، تلك القيم التي توضح (هويته الثقافية) وتعززها في حياته الحاضرة والمستقبلية.

لذا فإن مفهوم (الهوية الثقافية) في ذات الطفل، وموقعها من شخصيته، تعني من بين ما تعنيه سمته الثقافية، وخصوصيته في الإطار الثقافي العام، الذي ينطلق أساساً من المكونات القيمية والمعنوية والاجتماعية والتربوية والحضارية الأصيلة، وأبعادها في عمق الشخصية الذاتية.

وهذه الهوية هي (السمة الاجتماعية والحضارية) التي تميز هذا الفرد عن سواه في المجتمعات الأخرى، حيث تعبر (الهوية الثقافية) عن الطبيعة الخاصة لثقافة هذا المجتمع أو ذاك في الإطار الاجتماعي، من خلال ما تتميز به هذه الطبيعة من جوانب، وأساليب، وأشكال، ونظم، وتقاليد، وأعراف، ورموز متنوعة ومتعددة، تدخل ضمنها اللغة، والملبس، والسلوك، والتقاليد العامة والخاصة في طرق العيش وأساليبها، وغير ذلك من المحددات والمكونات

التي تدخل في الإطار الثقافي العام للمجتمع والتي يتخذها الأفراد في هذا المجتمع للتعبير عن خصوصيتهم، وتميزهم الاجتماعي والثقافي والحضاري.

إن مفهوم (الهوية الثقافية) يعد مفهوماً خاصاً عن الثقافة، التي تتمثل من اتجاهين أساسيين، اتجاه عام واتجاه خاص، فالعام هو ما يمثل التراكم التاريخي لحضارة المجتمع وتقاليده، وقيمته المتوارثة، إضافة إلى الإطار المعنوي والسلوكي للإنسان في هذا المجتمع، وهذا الإطار تنطلق منه كل الثقافات في العالم.. أما الاتجاه الخاص فهو الذي تمثله الثقافة في إطارها الخاص بهذا المجتمع دون سواه من المجتمعات الأخرى، ويتجسد ذلك بالقيم الخاصة، وبما هو سائد من عادات ومعتقدات وأفكار وسلوكيات خاصة، تتميز بها هذه الثقافة دون سواها.. وهذه الميزة تعكس خصوصية الثقافة واختلافها عن الثقافات الأخرى، حتى في إطار الثقافة الواحدة للمجتمع ضمن مفهوم (الثقافات الفرعية) إذ يعبر عن هذه الخصوصية بـ (الهوية الثقافية) فالثقافة العربية لها (هوية ثقافية) خاصة، مثلما للثقافات الفرنسية والألمانية والانكليزية وغيرها (هويات ثقافية) خاصة بكل واحدة منها.. كذلك الحال هناك (هويات ثقافية) خاصة، متعددة ضمن الثقافة الواحدة لكل مجتمع من هذه المجتمعات، مثلما هو واقع (ثقافة الأطفال) لكل مجتمع من المجتمعات المختلفة، أي (مثلما تنطوي الثقافة العامة على (هوية) فإن ثقافة الأطفال تنطوي، هي الأخرى على (هوية) تتمثل في ما تنفرد به هذه الثقافة عن سائر ثقافات الأطفال في المجتمعات المختلفة، ويشمل هذا الأمر تفردهما، أيضاً عن الثقافات الأخرى والثقافات العامة في المجتمع الواحد، وتتضمن الهوية الثقافية صفة اجتماعية، وبذا تختلف عن الهوية الفردية، ويمكن أن نجد إلى جانب الهوية الثقافية هويات أخرى لها الصفة الاجتماعية أيضاً، منها (الهوية العرقية) التي تتضح فيها مواقف ومشاعر وتحفيزات نتيجة الإحساس بالعرق.. ومن المعلوم، على الصعيد المنهجي، أن الوقوف علمياً على عناصر التفرد في كل ثقافة، عامة أم فرعية، وبالتالي تشخيص مكونات الهوية، هو عملية معقدة، إلا أن بالإمكان تحديد جوانب

أساسية في كل ثقافة من خلال الاستعانة بطرائق من بينها الملاحظة المنظمة، وعمليات تحليل المضمون، والمقارنة بين النظائر⁽¹⁾.

ومن خلال الدقة في هذه العملية، يمكن الوصول إلى تحديد، وتشخيص ماهية (الهوية الثقافية) بسماتها، وعواملها، وطبيعتها الاجتماعية، وآلية المحيط البيئي الذي تدور فيه وتستمد من عوامله دلالات خصوصيتها وتميزها.

* دور التنشئة الاجتماعية والثقافية في تحديد اتجاهات الهوية الثقافية

تشكل (عناصر الهوية الثقافية) من أهم الرموز والدلالات التي تنطلق منها (التنشئة الاجتماعية والثقافية) في أساليبها المتعددة، لأنها تمثل الإطار الفكري والقيمي والتراثي لبنية المجتمع وثقافته، خاصة للمجتمع الذي يريد لأفراده من النشء الجديد، النشوء والانطلاق من قيم الهوية وأصالتها، للحفاظ على ديمومتها، وفعاليتها، وخصوصيتها في ثقافة المجتمع، وتميز هذه (الثقافة) عن الثقافات الإنسانية الأخرى.

لذلك فإن الهوية الثقافية في معطيات الثقافة العامة، وكما يحددها عبد الرحمن الغريب تمثل (معطى تاريخياً وحضارياً يتم بناؤه في إطار استلهام العناصر الإيجابية للتراث والتقدم الإنساني، والتي من شأنها إعطاء الطفل شخصية أصيلة، وتعتبر الأسرة الخلية الأساسية لبلورة هذه العناصر وتشكيلها من خلال التنشئة الاجتماعية)⁽²⁾.. التي تعد الموجه لقيم الطفل واتجاهاته الأخلاقية والسلوكية والاجتماعية والثقافية.

من هنا عدت (التنشئة الاجتماعية) المسؤولة بشكل كبير عن قيم (الهوية الثقافية) وإطار الحفاظ عليها من الانحلال والتآكل اللذين تواجههما في العصر التكنولوجي الحديث، بعد الانفتاح العالمي في قنوات الاتصال

(1) الهيتي ، هادي نعمان (2002) - الهوية الثقافية للأطفال العرب إراء ثقافة العولمة محنة الطفولة والتنمية، العدد الثاني، القاهرة ، المجلس العربي للطفولة والتنمية

(2) الغريب ، عبد الرحمن (2002) - إشكالية الهوية بين الإعلام التنفري والتنشئة الأسرية للطفل العربي ، مجلة الطفولة والتنمية، العدد الثاني ، القاهرة ، المجلس العربي للطفولة والتنمية

والمعلومات، وأشكال التسرب الإعلامي الهائل، الذي شكل تحدياً آخر، وأكثر خطورة من التحديات السابقة، التي كانت تواجه آليات (التنشئة) بجوهرها (الاجتماعي والثقافي) وفي صميم أهدافها وغاياتها.

ففي العصر التكنولوجي الحديث توسعت قنوات التربية والتنشئة، بشكل عجيب، جعل الأسرة الحديثة، في مواقف صعبة للغاية، وأمام مشكلة كبيرة، جعلتها بمواجهة حقيقية بينها وبين الطفل من جهة، وبين أساليبها التقليدية في التنشئة، والأساليب الحديثة في هذه التنشئة.. فقد خرجت قيم التنشئة ووسائلها من إطارها المعروف، والمحدد من قنوات المجتمع الحضارية والتربوية والثقافية والاجتماعية إلى أطر مختلفة وقنوات مفتوحة، متعددة وبات الأطفال اليوم، من خلال ذلك (يواجهون عدة جبهات وقنوات تنشئة يصارعون من خلالها مجموعة متفرقة من التحديات الثقافية المعقدة، والتي تعكس واقع مجتمعاتهم المعاصرة، من جراء الكم الهائل من الوسائل الاتصالية والإعلامية التي أصبحت تحل محل الخلايا التقليدية في توجيههم)⁽¹⁾.. وتؤثر تأثيراً كبيراً في عمليات تنشئتهم الاجتماعية والثقافية، مما يؤثر ذلك في قيم (الهوية الثقافية) وأصالتها في العديد من جوانبها، خاصة عندما تلقى هذه الوسائل الاتصالية الإعلامية اهتماماً متزايداً، من قبل الأطفال، الذين راحوا يندمجون معها، اندماجاً كلياً بعد أن شدتهم إليها مغرياتها الكثيرة وجعلتهم تحت سطوتها، وسيطرتها الكاملة، حتى راح الأطفال إزاء ذلك يتلقون من خلالها قيمهم الثقافية الجديدة، التي تعارض في جانب كبير منها القيم الثقافية التي تقوم بها التنشئة الاجتماعية والثقافية داخل الأسرة، وهنا تكمن الخطورة التي تواجهها قيم (التنشئة الأسرية) في مسؤوليتها تجاه الطفل، الذي يقف بين حالتين متناقضتين من التوجيه والإرشاد، والدمج الثقافي، أولها (التنشئة الأسرية) وثانيها وسائل الاتصال الإعلامية المنفتحة من كل الاتجاهات منها بشكل خاص (التلفزيون)، (فالعلاقة التي تربط بين التنشئة داخل الأسرة والبرامج التلفزيونية، تتفاعل

(1) المرجع نفسه

في شكل تناقضي، لتبقي الاتهامات والاتهامات المضادة هي السائدة بين (بيئة التلفزيون والبيئة الأسرية) .. فقد احتل التلفزيون مكان الوالدين والمدرسين في التربية، وإن وضعية الطفل داخل هذا الخضم المتناقض الذي تحاول الأسر تنشئته عليها وإعطاؤه القدر الكافي من المناعة الشخصية حتى يتمكن من تكوين تصور حقيقي لواقعه، يندرج من خلاله بشكل عضوي في السلم القيمي لمجتمعه، وتلك القيم التي يبثها التلفزيون في عقول الصغار، وتصادم هذه بتلك، كثيراً ما تكون فيه الغلبة لما هو بعيد وخارجي عن الطفل وفي شكل صور إيحائية تقوده في هذه الحالة إلى التقمص والتقليد، الذي يعتبره الباحثون في حالة النموذج السلبي: عتبة الانحراف عن الثقافة والهوية المجتمعية⁽¹⁾.

إن الحديث عن (التلفزيون) وتأثيراته في عمليات التنشئة الاجتماعية والثقافية، وفي التأثير الواضح في شكل (الهوية الثقافية) وقيمها يأخذ أبعاداً متعددة، ويتوسع الجدل والتحليل والبحث في جوانبه الواسعة، ومحاوره المتعددة.

* الهوية الثقافية والاهتمام الدولي

لقد أصبح الاهتمام بالهوية الثقافية، اهتماماً واسعاً لا يختص بمجتمع دون آخر، إنما أصبح من القضايا الأساسية والمهمة التي تشغل بال المجتمع الدولي، والذي سعي إلى عقد المؤتمرات، ووضع التشريعات والبيانات التي تؤكد حتمية، وأهمية (الهوية الثقافية) ودورها في حياة الشعوب، لأنها تمثل رمزاً من رموزها، ونوعاً من السيادة والخصوصية الوطنية والثقافية.

وفي ضوء ذلك تم عقد العديد من المؤتمرات والندوات أشهرها، المؤتمر الذي دعت إليه، واجتمعت حوله الدول الأوروبية تحت عنوان (المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية)، المنعقد في المكسيك عام 1982، حيث اختص هذا المؤتمر بقضية (الهوية الثقافية)، ومناقشة آلية الدفاع عن الثقافات

(1) المرجع نفسه

الوطنية للدول الأوروبية، أمام سطوة (القطب الواحد) ومحاولته فرض (ثقافته) عبر أساليب (العولمة) بكل أشكالها.

وإزاء ذلك أصبحت هناك تشريعات قانونية تختص بالهوية الثقافية، وتفرض على المجتمع الدولي التزامها والتقيدها، ومن بين هذه التشريعات الدولية التي صدرت بهذا الخصوص، ما يختص بالطفل وهويته الثقافية، حيث نصت الفقرة (ج) من المادة (29) من (اتفاقية حقوق الطفل) الدولية، التي أقرتها، وصادقت عليها أغلبية دول العالم بإشراف (منظمة الأمم المتحدة للطفولة - اليونيسيف) ودخلت حيز التنفيذ في الثاني من أيلول 1990، نصت على (تنمية احترام ذوي الطفل وهويته الثقافية ولغته وقيمته الخاصة والقيم الوطنية للبلد الذي يعيش فيه الطفل والبلد الذي نشأ فيه في الأصل، والحضارات المختلفة عن حضارته)⁽¹⁾.

وهذا التشريع، وما صاحبه من اهتمام دولي بمسألة الهوية الثقافية، عبر الاهتمام الدولي المختلف، والمتواصل، بخصائص هذه (الهوية) واستقطاباتها الاجتماعية، جعل منها قضية (إنسانية) مثلما هي قضية (وطنية) و(قومية) في إطار ثقافات الشعوب المختلفة، فأخذ مجالاً واسعاً في التنظير والنقاش والجدل، من أجل التوسع في إدراكها، وتشخيصها، والانطلاق منها لتحديد ماهيات الثقافات التي تتميز بها الشعوب أحدها عن الأخرى في الأطر الاجتماعية والحضارية المختلفة.

* حساسية الهوية الثقافية

لقد أصبحت قضية (الهوية الثقافية) من القضايا الحساسة التي تتطلب الدقة والحذر والملاحظة العلمية، في النظر إليها، وفي التعامل معها، وحساسيتها هذه بنظر الدكتور هادي نعمان الهيتي تأتي لكونها (تحمل أكثر من دلالة لدى الأفراد، ولدى الثقافات والجماعات، إلا أنه بالإمكان الحكم أن المجتمع الديناميكي هو الذي (يظل يبحث عن هوية)، لأن المجتمع الذي يتعلق

(1) أنظر اتفاقية حقوق الطفل (1990) منظمة الأمم المتحدة - (اليونيسيف).

بعناصر بذاتها تعلقاً أعمى، ولا يبدي الاستعداد لإجراء تغييرات ثقافية توافقاً مع طبيعة الحياة والمستقبل لا يتهماً له تحقيق خطوات في طريق التقدم أو التحديث أو التغيير الاجتماعي، وهنا، إذا كانت الهوية خصوصية في الثقافة، منقولة عن الماضي ومصبوعة بقدر ما بالحاضر، فإن (البحث عن الهوية) يحمل في انطوائه عملية صنع للمستقبل، وكل خطوة مستقبلية مخطط لها تقتضي توفير أسس أو تحقيق عمليات في الثقافة، وعلى هذا يترتب النظر إلى (الهوية الثقافية) على أنها ليست ثابتة، بل هي مرنة تقبل التطور، وأن الهويات الثقافية في عدد من تجارب العالم كانت في تطورها منطلقات لتغييرات اجتماعية واسعة، حيث أمكن لها التكيف مع المستجدات بفضل طواعيتها على التجدد.. أما الهويات التي تنغلق على نفسها فهي تتوهم أنها وحدها تمتلك المزايا، وتوهم نفسها أنها تمتلك تبريرات لما يبدو فيها للآخرين (سالباً) ⁽¹⁾.

من هنا يعلن (الأستاذ الهيتي) عن خشيته من (أن تفهم الهوية الثقافية للأطفال) بأنها ذات قداسة، خاصة أن موقع (الهوية الثقافية) زمنياً يغلب أن يكون مرتبطاً بالماضي أكثر من ارتباطه بالحاضر، لأنها في المحصلة، كثيراً ما تكون وريثة الأمس، لكن هذا لا ينفي عنها دورها المستقبلي وتأثيرها في التطلعات سلباً أم إيجاباً.. وكثيراً ما تختلط عمليات الاتصال الثقافي بالأطفال بميل الكبار إلى المبالغة في إبراز عناصر (الهوية الثقافية)، وإلى المغالاة في تمجيد الذات، والتفاخر، وتصوير الماضي وكأنه سلسلة من المفاخر والانتصارات مما يسبب للأطفال صدمات قوية بعد أن يكبروا ويدركوا ما يخالف ذلك، وخاصة بعد أن يخطئ الكبار في تصوير الهوية الثقافية وكأنها نموذج مثالي متكامل ⁽²⁾، لا يمكن تجديده وتطويره كما يعتقد بهذا الرأي أولئك الذين يغالون في فهمهم للهوية الثقافية وطرق المحافظة عليها، حين يذرعون باسمها (للقوف بوجه التحديث والعصرنة ومجمل عمليات التقدم

(1) الهيتي، هادي نعمان - مرجع سابق

(2) المرجع نفسه .

الإنساني، وهي كثيراً ما تجد في (الهوية الثقافية) ما يفرض تضيقاً للتطلعات الواقعية وتبريراً لمقاومة التغيير⁽¹⁾.

من هنا تأتي حساسية (الهوية الثقافية) واستغلال البعض لها، كواجهة لتبرير مواقفهم من التغيير الثقافي، أو بالوقوف ضد محاولات التطور الثقافي للمجتمع، أو استغلالها لدى البعض لإحاطة (تعصبهم العرقي) بنوع من الشرعية بحجة (المحافظة على الهوية الثقافية) لمجموعتهم، التي تعتقد بخصوصيتها الثقافية، أمام الآخرين، سواء في المجتمع الواحد أم في المجتمعات الأخرى.

لذا فإن هذه الحساسية، هي من أخطر الحالات التي تحيط بـ (الهوية الثقافية)، وإشكالاتها، وتطبيقاتها وسبل الحفاظ عليها.

* جدل الحفاظ على الهوية الثقافية

تشكل مسألة الحفاظ على (الهوية الثقافية) مسألة أساسية، وحيوية في روح هذه الهوية، وإطارها العام، لما تكتسبه من أهمية بالغة في ترسيخ مفهوم (الهوية الثقافية) ودلالاتها في شخصية الفرد، وفي إطار ثقافة المجتمع، لذلك أصبح هناك جدل واضح، وتباين في الطرح والرؤى والتفسير والاعتقاد بمعطيات (الهوية الثقافية) والحفاظ عليها.

وقد اتضح ذلك من اختلاف وجهات النظر بشأنها وتعدد الآراء واختلافها في ذلك، فهناك رأي يعتقد بثباتها، كضرورة من ضرورات الحفاظ عليها، ورأي آخر يدعو إلى انفتاحها وجعلها مرنة في التعامل مع واقع الحياة المتجدد لكي لا تكون عرضة للتشويه والاستغلال للتشكيك فيها ورفضها، خاصة أمام آليات التطور التكنولوجي والمعلوماتي في العصر الرقمي، بكل ما يحمل من تقنيات متطورة، غزت العالم بسرعة فائقة من جميع الاتجاهات، وباتت تشكل تحدياً كبيراً لثقافة المجتمع بشكل عام، ولهويته الثقافية بشكل خاص، خاصة عندما لا تعي هذه (الهوية) مرونة التفاعل الحي مع المستجدات

(1) المرجع نفسه .

السريعة في التقنيات المتطورة، وتطور ذاتها ووسائلها بما هو متوافق مع العصر، وبالتناول الحي مع فوائد التقنيات المتطورة، ورفض ما هو خارج عن ذلك التحديد، عبر التمييز بين السلبي والإيجابي في آليات التفاعل مع هذه التقنيات التكنولوجية الحديثة، إذ إن (هذه التقنيات المتطورة بقدر ماهية عون نوعي لتقدم الإنسانية، وإغناء للمعرفة البشرية، تشكل في الوقت نفسه خطراً متزايداً على المجتمعات المثلثية، فهي تؤدي في المقام الأول إلى عملية إحلال لثقافات أخرى على مستوى القواعد الجماهيرية، ابتداء من العادات والممارسات والسلوك اليومي إلى سلم القيم ونمط الحياة، مما يغير شخصية تلك المجتمعات بإعادة صياغتها على نمط كوني معين، هدفه في عاقبة الأمر، هدف اقتصادي وسياسي)⁽¹⁾ .. يكون تأثيره واضحاً في جوانب كثيرة من (الهوية الثقافية)، مثلما بحثنا ذلك من قبل في مبحث سابق يتعلق بجوانب (الثقافة والعولمة).

وأمام تعدد الآراء واختلافها يبرز الرأي الداعي إلى عدم التجاوب مع التقنيات المتطورة، حتى في إيجابياتها، من أجل الحفاظ على الهوية الثقافية، وإحاطتها بالحصانة المطلوبة.. ويخالف هذا الرأي، رأي آخر ذهب إلى أن الحفاظ على (الهوية الثقافية) (لا يعني الحيلولة دون التعامل مع العصر بما فيه من تغيرات، وأن طبيعة القدرات البشرية الواجبة للتعامل مع ثورة المعلومات والمعرفة تختلف اختلافاً جوهرياً عن القدرات التقليدية، فهي تستلزم قيماً ثقافية ديناميكية قادرة على التعامل مع التغير السريع، ليس بالتكيف معه، فحسب بل بالمساهمة فيه تعديلاً وتجديداً)⁽²⁾.

من هنا نفهم أن خلاصة الآراء وجدلها المحتدم حول آلية الحفاظ على (الهوية الثقافية) ينصب في اتجاهين أساسيين، الأول: يدعو إلى رفض انفتاحها على التطورات التكنولوجية الحديثة، والثاني يدعو إلى انفتاحها على هذه التطورات، شرط أن لا يؤثر هذا الانفتاح في خصوصية (الهوية الثقافية).

(1) محي الدين، صابر (1983) قضايا الثقافة العربية المعاصرة، الدائرة العربية للكتاب، تونس .

(2) بن عبد العزير، طلال (1999) في تقديره لمنف مجلة الطفولة والتنمية ، العدد صفر، المجلس العربي للطفولة والتنمية ، القاهرة .

وهذان الاتجاهان يمثلان وجهة نظر بعض المدافعين عن (الهوية الثقافية) وسبل الحفاظ عليها.. مثلما خلص إلى ذلك عالم الاتصال والإعلام الدكتور هادي نعمان الهيتي حين شخص واقع هؤلاء بقوله: (يمكن أن نجد بين المدافعين عن الهوية الثقافية تيارين رئيسين، يري أولهما: أن الهوية الثقافية تقتضي التمسك بمجمل العناصر الثقافية التي تشكل خصوصيات ثقافية مع مقاومة كل مالا يتطابق معها، وبالتالي مواجهة كل محاولات التغيير فيها، في الوقت نفسه الذي يقتضي فيه الأمر مواجهة ثقافة الآخر، وقد يقتضي الأمر العزوف عن التفاعل الاتصالي أو الاكتفاء بصيغ شكلية منه، ويرى ثانيهما: أن الخصوصية الثقافية حقيقة قائمة لكل ثقافة، وأنها من الطوعية بحيث تقبل التطور دون ضغوط، أي هي تقبل الاتصال الثقافي القائم على التفاعل والتبادل الاتصالي شريطة ألا يحمل القبول بالتغيير تسليماً بالأمر الواقع .. وباسم التيار الأول كانت قد ظهرت مواقف متعصبة، ووضعت تبريرات لحجب الحق عن المجتمعات في الاتصال، وفي التغيير الثقافي، ويشهد التاريخ الإنساني أن مجمل عمليات مقاومة التقدم قد توسلت، بدرجات متباينة، بشعارات منها ما يدخل تحت طائلة التيار الأول وخاصة في حالات المغالاة)⁽¹⁾.

وفي كل الحالات يبقى الاتجاه إلى دراسة واقع (الهوية الثقافية) وتشخيص دوافعها وأشكالها وقضية اتصالها بالماضي والحاضر والمستقبل، اتجاهاً مفتوحاً على أكثر من محور وملاحظة ورأي، لأن منطقة تجاذباتها لا تخرج عن أرضيتها الموضوعية، وواقعها الحي الذي يراقبها، ويشخص حالتها، وتفاعلاتها مع إرثها وتجاوبها مع الواقع المتغير، الذي يعكس في واقع الأمر، مدى استجابتها للتجدد والتغيير من عدمه ومدى تقبلها لحاجات الإنسان وثقافته لعوامل التقدم الثقافي، الذي لا يعدو كونه، فاعلية حية متجددة، ضمن فاعليتها المتواصلة، المتوقعة منها، ومن الحتمية التاريخية والحضارية التي يفرضها الزمن وتطوره، في حالة تفاعلها الحي مع ما هو متجدد في واقع

(1) الهيتي، هادي نعمان، مرجع سابق .

الحياة، وفاعل في اتجاهاتها الأساسية، والذي يربو تجدها على الدوام، لتبقى واثقة، وفاعلة مع فاعلية الثقافة في المجتمع.

إن الإصرار على احترام (الهوية الثقافية) وتعزيز أهميتها في وعي الفرد وفي سلوكه، يشكل قيمة أساسية من قيم الثقافة ورموزها في بنية المجتمع، وثقافته الرصينة، على أن يكون ذلك ضمن إطار الوعي المتجدد مع قيم التطور الحضاري، المسبوق باحترام الإرث الثقافي الذي تستند عليه (عناصر الهوية الثقافية) في ثوابتها وفي تجدداتها، وتجاهل هذا الجانب، يشكل خطراً على معايير (الهوية الثقافية) وإطارها الموضوعي، وتهديداً لها ولعمقها الحضاري والثقافي في المجتمع.. إلا أن تأكيد (الهوية الثقافية) دون وعي، ودون فهم علمي لعناصرها، يؤدي إلى جمودها، والإخلال بجوهرها وعناصرها، وبالتالي يحدث التقاطع بين الثقافة وعناصر تجددتها وتطورها.. وهذا الرأي ما ذهب إليه (فيدريكو مايور ثاراجوتا) في قوله: (إن تأكيد الهوية الثقافية قد ينطوي على خطر التورط في الاعتداد المبالغ فيه بالتقاليد والنزعات إلى حد يوقع الجماعة في ما يسمى (بالروح القومية المتعصبة المستعيلة)، وبهذا تنتهي هذه الجماعة إلى الاعتقاد باكتفائها الذاتي، وهنا يقع التراجع والانطواء ورفض التبادل مع الآخرين، ولهذا فإن من أهم الأمور في هذا المجال الإلحاح على دور الهوية الثقافية في تزويد الشعوب بالثقة والدفع للآزمين لكي تكون أساساً للاحترام المتبادل بين المجتمعات المختلفة، فقد ثبت بشواهد عديدة أن التمسك بالمنفتح بالثقافة القومية هو خير وسيلة للوصول إلى احترام الثقافات الأخرى، وهذا شرط لكي يثري كل شعب ثقافته بما يتلقاه من روافد تلك الثقافات)⁽¹⁾.

وبوجه عام يبقى أمر (الهوية الثقافية) أمراً حساساً، وغاية بالأهمية، ويتطلب التمعن الدقيق، والدراسة العميقة، والتشخيص الصائب، والكشف الموضوعي، الذي يجعلها في الموقع الصحيح من خريطة الوعي، وتشكلاته

(1) فيديريكو مايور ثاراجوتا (1990) نصرة في مستقبل البشرية : قضايا لا تحتل الانتظار، ترجمة : محمود علي ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة .

في السلوك والنشاط الثقافي والاجتماعي والعلمي للفرد والمجتمع، لتأخذ الهوية الثقافية بذلك، صيغتها المتقدمة، وشكلها الإيجابي في الشخصية الثقافية المتقدمة، بعيداً عن صيغ التعصب والدفاع الضيق الذي يخرجها من محتواها التفاعلي ليضعها في حالة من الجمود والتردد في الاستجابات الموضوعية المتجددة، مثلما يريد لها أصحاب النظرة الضيقة من بعض المدافعين عنها بعيداً عن حقيقتها وصورتها المستقبلية.

وبين هذا وذاك من الطرح والتصور والاعتقاد في الرؤى، نخلص إلى نتيجة مفادها، أن الأمر حول (الهوية الثقافية) يظل متعلقاً بنوعية المجتمع وثقافته، وفي آليات نظره إلى (هويته الثقافية) وعوامل تطورها، وتواصلها، والحفاظ عليها في صيغة الخصوصية، أمام الانفتاح الكبير على تقنيات التطور التكنولوجي الواسع الذي تشهده المجتمعات الإنسانية وثقافاتها العامة في العصر التكنولوجي الحديث.

ثقافة الأطفال الأثر التربوي والتعليمي

على الرغم من استفحال الإشكالية العلمية القائمة بين مفاهيم التربية ومفاهيم الثقافة، ورسوخ هذه الإشكالية في مساحة واسعة من الفكر الجمعي لأغلب أفراد المجتمع ممن انطلقوا في نظرتهم إلى الطفل، من النظرة الأحادية التي تضع التربية والتعليم في المقام الأول في عمليات التنشئة، وتتجاهل الثقافة في الكثير من جوانبها في هذه العمليات، على الرغم من ذلك، هناك المقياس العلمي ومعاييره في تحليل الخصائص والمفاهيم وإعطاء النتائج الصحيحة، التي ميّزت كل مفهوم وخصائصه على أساس وظيفته واتجاهاته ونتائجه، إذ شدد العلماء على فهم أساسيات المفهوم وخصائصه، فخلصوا إلى أن (التربية أهم من التعليم، وأن التعليم نط من أنماط التربية، وللتربية أشكالها الكثيرة، وكذلك التعليم له صيغ متعددة)⁽¹⁾ .. هذه الصيغ يتم اعتمادها من وعي المجتمع ومن ثقافته وآلية تطور هذه الثقافة.

هذا يعني أن الثقافة أوسع وأشمل من التربية، بدليل (أن للتربية منهج هو وسيلتها، هدفه مساعدة الأطفال على كسب ما يناسبهم من خبرة السابقين، التي تضم المعلومات وتطبيقاتها وما يتصل بها من مهارات، كما يساعدهم على كسب الاتجاهات والقيم والمثل العليا وأساليب التفكير وأنماط السلوك المناسبة، وهذا المنهج هو أداة المجتمع لعكس ثقافته)⁽²⁾، على الأطفال في العمليات التربوية، أما الثقافة كما يذهب (رالف لينتون) فإنها (عملية تنظيم للسلوك المكتسب، وتناج هذا السلوك، ويشترك أفراد مجتمع معين في مكوناتها الجزئية وتنتقل عن طريق هؤلاء الأفراد)⁽³⁾.

أما الثقافة في نظر عالمة الأنثروبولوجية الشهيرة (مارغريت ميد M.Mead) فهي (ذلك الكل المنظم المتكامل الذي تستحدثه جماعة من الناس وتنقله

(1) القوسي، عبد العزيز (1985) أولادنا بين التعليم والتعلم - مطبعة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الأولى

(2) الدمرداش، سرحان، ومنير كامل (1988) المناهج المعاصرة، مكتبة الفلاح - الكويت - الطبعة الأولى

(3) الفينش، أحمد علي (1982) أصول التربية - الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس - الطبعة الأولى.

إلى أبنائهم، عبر المشاركة في الأعراف والتقاليد، هؤلاء الأبناء الذين سيصبحون أعضاء في مجتمعهم، وهي لا تشمل الثقافة والعلوم والأديان والفلسفات فقط، بل الجهاز التكنولوجي والطرق السياسية وحتى العادات اليومية⁽¹⁾... وهذا يعني أن الثقافة مفهوم عام يشمل جميع مناحي الحياة وطرق العيش فيها، خاصة بعد أن تطورت المجتمعات من الاتجاه الصناعي إلى الاتجاه الثقافي الذي أعطى للثقافة معنى واسعاً على أنها (الطريقة الشاملة للحياة).. وقد برز ذلك الاتجاه في (علم الاجتماع والأنثروبولوجيا) اللذين سادا في القرن العشرين.. فتحول هذا الاعتقاد بقيمة الثقافة ومعناها من الشخصي في الإثبات إلى العام في التحقيق والنظر، وبالنسبة أصبح هذا التحول منهجاً فكرياً سار عليه وتأثر به العديد من المفكرين والمثقفين والكتاب، أبرزهم الشاعر الانكليزي (ت. س. إليوت) الذي اعتبر الثقافة (شاملة على جميع المناشط والاهتمامات المميزة لشعب ما)⁽²⁾ وعلى هذا الأساس فقد أثني (ماثيو أرنولد) على الثقافة لأنها بحسب قوله (أعانتنا عوناً عظيماً في التغلب على مصاعبنا الحالية، فهي متبعة الكمال التام عن طريق الحصول على معرفة أحسن القول والفكر في العالم في الأمور التي يهتمنا معظمها، وتوجه الثقافة تياراً من التفكير الجديد المتحرر- من خلال هذه المعرفة - إلى أفكارنا وعاداتنا المخترنة القديمة التي نمارسها الآن بقوة وحزم)⁽³⁾.

وهذا العون الذي تقدمه الثقافة لأفراد المجتمع يقود إلى فهم الكمال الإنساني وتفحصه، لأن الثقافة تعني دراسة الكمال، ولكونها هكذا بحسب وصف (ماثيو أرنولد) فهي (تقودنا لأن نفهم الكمال الإنساني الحقيقي باعتباره كمالاً متناسقاً، يطور إنسانيتنا من جميع جوانبها، وهو كمال شامل يطور مجتمعنا بأسره)⁽⁴⁾.. ويأتي ذلك من خلال التربية وما تعنيه في عمليات

(1) حوري، توماس جورج (1983) المواجه التربوية - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة

(2) ويبامر، رايوند (1980) الثقافة والمجتمع، ترجمة - وحيه سمعان، مشروع النشر المشترك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة

(3) المرجع نفسه، ص 136

(4) المرجع نفسه، ص 137.

التهذيب العقلي والذهني والجسدي، وهذا التهذيب يرتبط ارتباطاً مباشراً بقيم الثقافة ووظائفها التي تدور في خصائص الفرد وإنسانيته، وتنطلق من ذلك عبر آلية (الثقافة العقلية، والثقافة الذهنية، والثقافة الجسدية، وهنا ترتبط الثقافة بالصحة العامة التي يدفع الكمال فيها إلى الكمال في جوانب أخرى من الحياة عبر العناية بالجماليات المادية والمعنوية في إنسانيتنا وفي حياتنا، بوصفها دوافع مهمة للازدهار الصحي للمجتمع، فالصحة عند (نيومان Newman) هي معيار الجسد، مثلما الكمال عنده معيار العقل، الذي يقود إلى فهم (الجماليات) المتعددة وقياسها، ومعرفة اتجاهاتها وتفاعلاتها في حياة الفرد وثقافته.. فالجماليات هذه بأشكال متباينة ومختلفة حسب وصف (نيومان) في تقديره (ثمة جمال جسماني وجمال معنوي، جمال يتعلق بالشخص وجمال يختص بوجودنا المعنوي، الذي هو فضيلة طبيعية، وكذلك يوجد جمال الذهن وكماله، وثمة كمال مثالي في هذه المصادر الأولية المتعددة التي تتجه إليها الحالات الفردية في صعودها وهي معايير لجميع الحالات مهما كانت)⁽¹⁾ .. وهذا التنوع يعطي الثقافة مساحة أوسع في تنظيم الوظائف التربوية وأنماط التعليم في إطارهما الاجتماعي ووعيهما بأساليب التهذيب الفاعلة في تعزيز الجمال وقيم الكمال المعنوي في شخصية الفرد وتطورها، إلى جانب الفاعلية الثقافية في التهذيب، والتي تنتقل من الفرد إلى الجماعة لأحداث التطور الحضاري للمجتمع.

* المنهج التربوي والثقافة

إن أحداث التطور الحضاري للمجتمع لا يأتي من دون أن يكون المنهج التربوي مساهماً للنمط الثقافي ومؤثراته، ومتطعاً بسماته بحيث (يكون هذا المنهج مرناً متكيفاً لما يحدث من جديد، ولما يطرأ من تغير على الحياة الاجتماعية، كما يجب أن يهتم المنهج بتنمية الاتجاهات السلمية والمرغوبة نحو التغير، وعدم مقاومته، طالما يتفق مع تقاليد وعادات المجتمع، فإن تزويد الأطفال بالمهارات والاتجاهات السلمية أمر ضروري لكي يصبحوا عناصر

(1) راجع الثقافة والمجتمع، ص 132 .

تجديد في الثقافة من أجل تقدم المجتمع⁽¹⁾ .. ويتحقق ذلك كما يذهب فؤاد سلمان قلادة، عن طريق (ربط المنهج بمشكلات الحياة، وإعطاء التلاميذ فرصة انتقاء المفضل من الثقافة وترك غير المرغوب فيها، وذلك بالتوجيه والإرشاد خاصة في المرحلة التعليمية الدنيا، وفي ضوء خصائص النمو النفسي بجميع جوانبه)⁽²⁾ .. ليكون هناك تفاعل موضوعي بين المنهج التربوي وعناصر الثقافة لتفعيل الواقع العلمي والحضاري للمجتمع، ينطلق أساساً من امثال التربية بأساليبها القديمة وأساليبها الحديثة لروح التراث الثقافي واستجابته لعوامل النهوض والتجددات العصرية في إنضاج الوعي والمحفزات الإدراكية والابتكارية والتجديدية في النظرة والفكر والسلوك، وتوسيع مدياتها في المجتمع، للوصول بأفراده إلى تتبع الأسس العلمية، من مؤهلات وتخصصات واستنتاجات لتفعيل المخيلة والإدراك والخيال وإيصال مستوياتها إلى الابتكار والإبداع الذي يوضح حقيقة التربية وأبعادها في التعليم وفي التلاحق العلمي مع عناصر الثقافة العلمية بكل مستوياتها وتشعباتها، لأن النتائج المتوقعة في هذه العملية هي نتائج التفاعل المشترك بين التربية والثقافة، الذي تعينه إعانة واضحة على أداء دوره وتقوية مهارة القدرات وتهذيبها وتنميتها المتواصل، مع تنامي الفاعلية الثقافية للمجتمع وحاجته العلمية إلى التطور.

المهم في هذا الأمر، هو أن لا نخفق في الوصول إلى هذه الحقيقة، من خلال النظرة الأحادية إلى كل من التربية والثقافة، ونعزل أياً منهما عن الأخرى كما هو الحال في الكثير من الحالات التي تعتمد التربية أساساً ومعياراً لبناء الشخصية بمعزل عن الثقافة والحاجة إليها في مكونات المنهج التربوي.

* طبيعة التربية والتعليم في بنية الثقافة

مع أن التربية تشكل الإطار العلمي والعملية لجوهر التنشئة الاجتماعية للفرد، ومحرك فاعليتها لأداء وظائفها الاجتماعية في التطبيع والتكيف والإعداد والضبط

(1) المثاني، معتوق محمد عبد القادر (1986) منهج رياض الأطفال الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان - ليبيا، الطبعة الأولى

(2) قلادة، فؤاد سليمان (1976) أساسيات المناهج في التعليم النظامي وتعليم الكبار، دار المطبوعات الجديدة - الإسكندرية

الأخلاقي والسلوكي والغرائزي والانفعالي لنظم الشخصية ودوافعها الذاتية لتعزيز وجودها وسماتها في المحيط الاجتماعي.. إلا أنها - أي التربية - لا تتطور وتخرج من إطارها الذاتي إلى الأطر الأخرى ، الأكثر فاعلية في تفعيل أهدافها وغاياتها ووظائفها في جوهر الفرد، وفي جوهر المجتمع، ما لم تلتق بالثقافة وتستمد منها المقومات المضافة لمقومات بقائها وتجدها وتجاوبها مع طبيعة الحياة المتجددة.

وبما أن التربية هي التي تقود إلى التعلم فإن التعلم يقود إلى الثقافة، لذلك فإن التربية هي الأداة الاجتماعية بيد الثقافة لتجدد المجتمع وتثبيت ركائزه الحضارية، كون الثقافة تتمظهر بمظهرين أساسيين أحدهما معنوي والآخر مادي، ويظهر هذا بوضوح في شكل التكنولوجيات والمخترعات والصناعات والتقدم العلمي في العلوم المختلفة التي تقوم بالتأثير في مجمل حياة الفرد وأنماطه السلوكية وفي عاداته وقيمه الاجتماعية، وقد انطلق من هذا الفهم (رالف لينتون R. Linton) حين اعتبر الثقافة منظومة كلية تضم في إطارها وجوهرها ثلاثة مكونات هي (العموميات والخصوصيات والبدائل)⁽¹⁾.

وخلص في وصفه لذلك بالقول (العموميات هي العناصر ذات الطابع المشترك بين الغالبية العظمى من أفراد المجتمع كاللغة واللباس والأكل وأساليب الحياة العامة، والأنماط الأساسية للعلاقات الاجتماعية كالطاعة والاحترام، والقيم والمعتقدات، وهذه العناصر تعمل على توحيد النمط الثقافي للمجتمع وتميزه عن غيره من المجتمعات، وتعمل على تقارب اتجاهات وأفكار أفراد وجماعات ذلك المجتمع مما يؤدي إلى تضامنهم)⁽²⁾.

أما (الخصوصيات) فهي العناصر التي تخص فريقاً معيناً من الكبار في مجتمع معين، ويعرفها ذلك الفريق ويمارسها دون غيره من جماعات المجتمع، مثل طرق التفكير والعمل التي تتصل بفئات الحرفيين والمهنيين، أما البدائل فقد وصفها (لينتون) على أنها (العناصر الثقافية التي لا تنتمي إلى أي من العناصر السابقة، ولا يمارسها إلا القلة من أفراد المجتمع في بداية

(1) المرجع نفسه.

(2) الكعبي ، فاضل (2006) التربية في ثقافة الأطفال - جريدة المدى - بغداد، العراق.

الأمر، وهي طرق تفكير ووسائل عمل تمر بمرحلة صراع اجتماعي بين القبول والرفض، بين الاستساغة وعدمها، وذلك كطرق التدريس، وطرق الطهي، وطرق الصناعة، وطرق اللباس وغيرها، وتنتشر هذه البدائل وتندمج في ثقافة المجتمع وتدخل ضمن عموميات أو خصوصيات الثقافة حسب قبول واستخدام الأفراد لها، أي أنها تدخل ضمن الخصوصيات إذا أقيمت عليها واستخدمتها مجموعة من الناس، أو فئة معينة، وتدخل ضمن العموميات إذا أقيمت عليها واستخدمتها عامة الناس، وإذا ما أعرض عنها غالبية الناس فإنها تندثر وتتلشى ويتم نسيانها، وتعتبر كثرة البدائل بحسب (لينتون) دليلاً على نمو المجتمعات ومرونة ثقافتها⁽¹⁾.

إن الميل أو الاتجاه إلى أي من هذه الجوانب في الثقافة تحدده طبيعة التربية التي تعرض لها الفرد في محيطه الاجتماعي وما وصل إليه من مستوى ثقافي في الوعي.. فالتربية هنا هي العامل المؤثر في الجانب الثقافي، كما أن لهذا الجانب الثقافي القدرة الفاعلة على تمكين التهذيب من أداء وظائفه الأساسية في الفرد للوصول إلى العناصر الثقافية المتوافقة مع ميله وتطلعاته وتجدد نظرته إلى الحياة، وبهذا الإطار تصبح العلاقة مشتركة بين الثقافة والتربية في بناء الشخصية ونمو قدراتها.

* أهداف التربية وتطورها

لقد اختلفت وتباينت وجهات التربية وأهدافها بين شعوب وأقوام المجتمعات الإنسانية المختلفة على اختلاف دياناتها ومعتقداتها وحضاراتها، فقد كان هدف التربية عند اليونان والرومان هدفاً دنيوياً، وعند اليهود في الصدر الأول للتاريخ كان هدفاً دينياً⁽²⁾.. أما عند المسلمين فقد كان هدف التربية أكثر شمولاً، فقد كان غرضهم دينياً ودنيوياً.. كما ذهب إلى ذلك المفكر محمد الإبراهيمي تأكيداً لقوله تعالى في سورة القصص: (وابتغ فيما

(1) المرجع نفسه.

(2) الإبراهيمي، محمد (2000) التربية الإسلامية، راجع كتاب (آفاق التربية الإسلامية الحديثة وجدورها لإيناس البدران الأشقر للطباعة - بغداد، العراق)

أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)، وانطلاقاً من الحديث الشريف: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً).. لذلك فقد اهتمت التربية الإسلامية بالجانب الأخلاقي الذي يعمل على تهذيب الأخلاق وشيوع مكارمها إلى جانب الاهتمام بالتربية البدنية والصحية والعقلية والوجدانية والعملية والعلمية للطفل، وقد عنى المسلمون عناية فائقة بأسس التربية الإسلامية، ولعل من أهم معالم الفلسفة الإسلامية ذات التأثير على النشاط التربوي ما أشارت له العديد من الدراسات التربوية والكتابات الأدبية في التاريخ والأدب العربي والإسلامي من : إن النفس البشرية ليست خيرة ولا شريرة بطبيعتها، ولكنها قابلة لأن تكون هذا أو ذلك، حسب ظروف البيئة التي تحيط بها، وإن المعرفة مكتسبة وليست فطرية، فينبغي على المتعلم السعي وراءها بكل الوسائل لتحصيلها من مصادرها المختلفة . كذلك أكدت الفلسفة الإسلامية في هذا الاتجاه (أنَّ المعرفة تكتسب بالحس والعقل معاً، متعاونين في تحصيل المعرفة الدينية والدنيوية، والمعرفة النظرية والعملية. وأن العالم ليس مادياً فقط ولا روحياً فقط، بل الإنسان روح وجسم والعلاقة وثيقة بين عالم الروح وعالم المادة، أو الفكر والمادة وهي كذلك بين جسم الإنسان وروحه)⁽¹⁾.

أما الأهداف الأساسية التي تسعى إليها التربية الإسلامية فهي عديدة ومتشعبة تعبر عن سعة أفق هذه التربية وقيمتها الكبيرة في بناء الإنسان.

* النظرة الحديثة لعلم الطفل وتربيته

في العصر الحديث توسع الاهتمام بالطفل، وتطورت النظرة إليه بشكل علمي، وتعددت المناهج والنظريات والدراسات التي اختصت بهذا المجال، تمثل باهتمام العديد من الفلاسفة والمفكرين والتربويين وتخصصهم بدراسة الطفل والبحث في خصائصه البيولوجية والفسولوجية والسيكولوجية، وغيرها من القضايا التي تتصل بعوامل وحاجات هذا الكائن الغامض، إضافة إلى

(1) المثناني، معتوق محمد (1986) منهج رياض الأطفال، مرجع سابق

ما كان سائداً من المفاهيم والآراء والأفكار المهمة في مجال الطفل في الثقافة العربية والإسلامية وفي ثقافات المجتمعات الإنسانية الأخرى، بدأ الاتجاه العلمي الحديث بإدراك أهمية التحولات العلمية والثقافية والاجتماعية والتربوية في طورها الجديد، فراح يدرس الطفل، أو ما يسمى (البيدالوجيا) (علم الطفل (pedalogie) القائم على الملاحظة والتجربة، بشكل أعمق وأدق بالانطلاق في هذه الدراسة من الخصائص الصغيرة إلى الخصائص الكبيرة في فهم الطفل.

وانطلقت هذه الدراسات في تأسيسها الحديث على العديد من الآراء والأفكار السابقة، بينما راحت الدراسات الأخرى تؤسس نظرياتها ومفاهيمها في ضوء فهمها للطفل في واقعه الحديث، منطلقة من قصور بعض الدراسات والمفاهيم في بعض جوانبها، من الوصول إلى حقيقة الطفل، والاستجابة لمراحل تطوره الطبيعي.. فانطلقت هذه الدراسات العلمية، من هذا الإطار لتجد لها صدى واسعاً في الثقافات الإنسانية المختلفة، على يد العديد من الفلاسفة والمفكرين والتربويين بمختلف توجهاتهم واتجاهاتهم الفكرية والعلمية، ولعل أبرزهم وأكثرهم اهتماماً وجداً في هذا المجال الشائك الفيلسوف والمفكر والمربي الفرنسي الشهير (جان جاك روسو 1712-1778 - JEAN- JACQUE ROUSSEAU).

فقد اهتمت الثقافات الإنسانية المختلفة بآراء وأفكار روسو بعد أن أحدث ثورة كبرى في الفكر التربوي، مثلما ذهبت الباحثة عزيزة محمد الشيباني وأكدت في قولها: (إن روسو هو أول من نادى بحق الإنسان في التربية منذ ولادته، ونادى بأن التربية يجب أن تؤسس على دراسة الطفل ومعرفة طباعه وميوله، ولذا يسمى كتابه (إميل) (كتاب الحرية في تعليم الطفل)، وقد عرض في هذا الكتاب لوناً من التربية غير مؤسسة على نمط المجتمع، ولا على التقاليد المدرسية، ولكنها مؤسسة على معرفة حقيقة الإنسان وطبيعة الطفل، وقد خصص الجزء الأول من كتابه (إميل) لتربية الطفل من الميلاد إلى سن الخامسة.. وقد نادى (روسو) بأن المعلم الأول هما رجلاه ويداه وعيناه، ويرجع إليه الفضل في فكرة أن التربية هي الحياة، وأن

الطفل يجب أن يكون مركزها، وأن هدفها يجب أن يكون تحقيق اكتمال الفرد في كل طور من أطوار حياته⁽¹⁾.

لقد ذكرت الباحثة هنا جملة من الحقائق عن شخصية (روسو) ومكانته العلمية، التي يعرضها الكثير وينطلق منها لما تمثله من قيمة تربوية وعلمية في الثقافة والتربية الحديثة التي أصبحت مرجعاً مهماً في الدراسات والمباحث الحديثة في (علم الطفل)، وهذا واضح ولا إشكال فيه، إلا أن الإشكال ما قالته الباحثة (الشيبياني) حين ذكرت: (إن روسو هو أول من نادى بحق الإنسان في التربية منذ ولادته).. وقد نسيت أوفاتها أن هذه الدعوة ومفاهيمها كانت واضحة في الفكر التربوي العربي والإسلامي قبل (روسو) بقرون عديدة، وشواهد ذلك واضحة في التراث العلمي للثقافة العربية والإسلامية، من خلال ما طرحه العديد من الفلاسفة والمفكرين والعلماء العرب والمسلمين قديماً.

وقد تجلّى هذا الطرح بوضوح وبشكل خاص في أفكار (الغزالي 450-505 هـ) حين دعا وشدد في أحد فصول كتابه المهم (إحياء علوم الدين) على (وجوب العناية بتربية الطفل منذ اليوم الأول من حياته، وذلك لأن نفسه صفحة بيضاء وكل ما ينقش عليها يترك أثره فيها)⁽²⁾.

(1) الشيبياني، عزيزة محمد (1992) أثر رياض الأطفال على التكيف الاجتماعي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان - ليبيا - الطبعة الأولى

(2) عاقل، فاخر (1977) التربية قديمها وحديثها، دار العلم للملايين بيروت - الطبعة الثانية

إشكالية الهوية الثقافية أسئلة في الراهن التكنولوجي

تري؟.. هل التطورات التكنولوجية الحديثة، بكل نتاجاتها، وتقنياتها وخدماتها، التي تقدمها لإنسان اليوم، نعمة أم نقمة على هذا الإنسان؟.. هل هذه التطورات المتلاحقة، والمتغيرة بشكل سريع، تسعى فعلاً إلى رقي الحياة، وتأمين أفضل الوسائل والسبل والإمكانيات لتطور إنسان العصر التكنولوجي، وإيصاله إلى المستويات المتقدمة في العلم والثقافة والسلوك والتحضر والرفاهية؟.. وماذا يعني عدم الانسياق وراء هذا التطور؟.. وعدم مجاراته وعدم الحصول على نتاجات التكنولوجيا في حياة البعض؟.. ما مقياس الثقافة والتطور، والنمو العلمي المتصاعد إزاء هذه التطورات؟.. وهل أن هذه التطورات وحدها تغني الإنسان شكلاً ومضموناً - دون الاهتمام بأنساق السلوك الإنساني وقيمه ضمن معيار (الهوية الثقافية) ومحدداتها في إطار المجتمع؟.

هذه الأسئلة وغيرها الكثير أصبحت مصدر قلق وخوف في الراهن من الواقع المتغير، وخطابه الثقافي والسياسي المضطرب، وباتت تشكل تحدياً كبيراً لإنسان العصر الحديث، العصر الرقمي، وهي في الحال ذاته، كثيرة التناول، وشديدة الإلحاح على المخيلة، ودائمة الجدل والحوار في الذات، التي تسعى من خلال ذلك للوصول إلى الإجابات الأعمق، والأكثر شمولاً واستجابة للذاتي والواقعي في مدار المخيلة القلقة، التي تبحث عن يقينها وانتسابها الإنساني والعلمي في هذا المتغير اليومي، الذي يجعل الأسئلة تزداد قلقاً وحيرة وانشغالاً بمتغير لا حدود له، فبعد التطورات التكنولوجية الحديثة ومخترعاتها العجيبة التي بدأت بثورة المعلومات وإفرازاتها المتعددة، ومرت بعجائب وغرائب الوسائل الآلية والضوئية والصوتية، ولم تنته بعد عند سرعة التطور والانجاز الأعجب والأغرب، الذي ينظر من خلاله إلى السوابق من التقنيات الإدهاشية، كبديهيات تضعف أمامها الدهشة والإبهار قياساً إلى المستجدات في منتوجاتها.

وإزاء ذلك، بدأت تواجهنا أسئلة كثيرة، وأكثر تعقيداً وحدة مما سبقها من تساؤلات، هذه الأسئلة قد خلخلت الثوابت - نوعاً ما - إذ أن كل واحدة منها تحتاج منا إلى إجابة سريعة ودقيقة، وبرؤية واقعية وصائبة، لا تجافي الواقع العلمي، ولا تعيش الخيال بعزلة عن الواقع، والإجابة الدقيقة هذه، لابد من أن تكون واضحة كل الوضوح، لتتجاوز أنانية الذات ومحدداته المادية إلى ما هو أشمل في التحصيل الواقعي والموضوعي الحاصل، أي إنها تنطلق من الواقع العام وتعود إليه بنتيجة إيجابية تحيط بعمق السؤال ودقة الإجابة ومؤثراتها العامة على عموم ثقافة المجتمع بشكل عام، وعلى ثقافة الأطفال بشكل خاص.

* تأسيس القاعدة الثقافية

إنَّ إثارة مثل هذه الأسئلة وغيرها من الأسئلة الأخرى، من شأنه أن يرفع الغموض، ويرفع اللبس عن رؤية الواقع الراهن، حيث يتم بذلك توضيح ما يحتاج إلى وضوح في الرؤية والعمل والتفكير، ومن شأن ذلك أيضاً أن يؤسس لقاعدة ثقافية، وعلمية، وسلوكية متزنة في التعامل الجدي والمثمر مع آليات العناصر التكنولوجية في العمل الثقافي، ومن شأن ذلك أيضاً، أن يجعل هذه التكنولوجيا وعناصرها - مهما كانت عصية ومعقدة - طوع أمرنا ومسخرة لرقينا العلمي، على درجة عالية من الوعي والتحضر والتحفز الإيجابي لبناء العصر العلمي المتطور - إنسانياً وتقنياً - شرط أن تحاط هذه الأسئلة - أي تلك التي أثارناها في البداية - بإجابات علمية واعية، وأن تكون الإجابات عملية لا نظرية، وممكنة التحقق لا عصية مع ممكنات الواقع وظروفه.. وأن تكون تلك الإجابات روحاً لتلك الأسئلة التي حفزتها، وأوجدتها، لا أن تكون مجرد تساؤلات في المخيلة واللسان، وتقابلها إجابات غير واقعية، تطمح إلى التحقق ولا تصل إليه، لعوائق عديدة في الذات وفي الواقع.

وغالبا ما تأتي الأسئلة بشكل إيجابي في الجهد العملي، من خلال إيجاد الإجابات العملية في التنفيذ الواقعي، وهي في كل الحالات إشارة إلى المعارف

ودليل على تأسيس نوع من الصلات - سواء المتخيلة أو الواقعة - المباشرة وغير المباشرة، ما بين المعلوم والمجهول، لجعل المجهول معلوماً، والمعلوم أكثر وضوحاً، وهكذا تترادف الأسئلة بإشاراتها ورموزها ومعانيها ودلالاتها، فدون الأسئلة والتساؤل لا يمكن أن تنشط المخيلة المعرفية ويتوسع الإدراك، ويتسابق مع ما هو حاصل من التغير والجديد في آلية الفكر وجدلية الحياة العامة في أنشطتها المختلفة.

لذلك تأتي الأسئلة بماهياتها لتؤسس القاعدة الثقافية للعلوم، ولتقف إلى جانبها إجابات محددة وواضحة هي في اشتغالاتها ومهاراتها ودلالاتها معارف مضافة وخبرة جديدة أكثر اتساعاً في التقاطات الوعي واشتغالاته، وصولاً إلى الهدف الذي تبتغيه الأسئلة من وراء إثارتها ووجودها الاستفهامي الذي نسعى إلى أن يكون وجوداً افهامياً، بعد ما كان في بدايته وجوداً استفهامياً، يتحول من المجهول إلى المعلوم في الدلالة، والمنطق، والواقع، وينزع من الغياب في الوعي إلى الحضور في السلوك والعمل.

وبطبيعة الحال فإننا نسأل لكي نتعلم. ونزداد اطلاعاً ومعرفة، والطفل يسأل لكي يتعلم، ويصل إلى معرفة المجهول، وإدراك المعنى الحقيقي للشيء المبهم في مخيلته والذي دعاه إلى الكشف عن ماهيته في السؤال.

وهكذا يظل السؤال والتساؤل قيمة من قيم الوجود، ومعنى من معاني الفكر ومهاراته، ولازمة تلازم وجودنا ووعينا إلى مالا نهاية، فأسئلة من قبيل: ما معنى التطورات التكنولوجية وعلاقتها بجوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في واقعنا المعاش في العصر الرقمي؟ وما هو دورها في التطور التقني والإعلامي والثقافي للمجتمع عامة، وللأطفال خاصة؟ ترى هل استخدامات التكنولوجيا في وسائل الاتصال بالثقافة والإعلام تحتم أن نلغي الوسائل القديمة؟ هل هذه التكنولوجيات المتطورة تحتم علينا أن نغير من أساليبنا ونظرتنا للطفل، وقضية إعدادة وبناء إدراكاته ومستلزمات نموه المتصاعد؟ هل يتحتم علينا إزاء ذلك، أن نعيد النظر بطرق وأساليب تعاملنا

مع الواقع والناس، خاصة فيما يخص الطرق المتبعة والوسائل التي اعتدنا من خلالها على مخاطبة الطفل؟ وهل ما نفرضه طريقاً صائباً للتعامل مع الطفل، يصح أن نعتقده هكذا، الآن مثلما كان في السابق؟ ويجوز السير عليه بعد كل هذه التطورات التكنولوجية الحديثة، ومنها على وجه الخصوص، ما يخص الجانب الثقافي، الذي يشغل على غرس المغذيات التربوية والثقافية في مخيلة الطفل وعقليته.

* ثمار عصر التكنولوجيا

وإزاء ذلك يبقى السؤال قائماً: هل يتحتم علينا الآن ونحن نعيش عصر التكنولوجيا، هذا العصر المتطور والمتغير بشكل سريع وعجيب ومذهل، أن نرمي جانباً بكل أفكارنا ورؤانا ومفاهيمنا التي ترسخت في أذهاننا، ومنها ما كنا ننطلق منه في تعاملنا مع الطفل والكتابة إليه؟ هل يمكن أن نرمي ذلك جانباً ونستعين بأفكار ورؤى ومفاهيم وطرق وأساليب جديدة بناء على الواقع التكنولوجي الجديد؟ ونؤسس لتعاملات واشتغالات وآليات ثقافية وتربوية وتعليمية جديدة، يفرضها علينا التطور التكنولوجي كحتمية ثقافية لا بد منها للتواصل مع الوعي الإنساني المتطور في بنى الحياة، وننطلق بذلك في خطابنا الثقافي للطفل؟ ترى أين يكمن السلبي وأين يكمن الإيجابي في المنطلقات الفكرية والأسلوبية القديمة، وفي المنطلقات الفكرية والأسلوبية الجديدة وكيف يتم تحديد ذلك بناء على متطلبات الواقع ومرحلته؟ وعلى أي المعايير نستند في التحديد؟ وعلى أي المقاييس نعتمد في الخطاب الثقافي والتربوي المتقدم الذي نريده لطفلنا في العصر التكنولوجي الراهن؟.

وأمام هذا الواقع المشوب بالتغير والقلق، يقفز إلى الذهن السؤال الأكثر حيرة في اشكالياته، وهو: ما موقف النظريات العلمية المعروفة ومناهجها المتعددة، المعنية بخاصية التعامل العلمي مع النمو المعرفي واللغوي والنفسي والسلوكي والثقافي للطفل، من آليات وأساليب المخترعات التكنولوجية الجديدة وهل ثوابتها العلمية ستبقى مؤثرة وقائمة أمام رياح التغيير؟ وهل

الانسياق وراء التغيير بشكل كامل يعني عدم الوثوق بالثوابت والخروج من مفاهيمها إلى مفاهيم متحررة، ودائمة التغيير والتبدل تبعاً للواقع المتغير؟ وما موقف الأصالة والتراث وعمق الهوية الثقافية وخصوصيتها من كل ذلك؟ خاصة ونحن في عصر (العولمة) الذي يثير أكثر من سؤال، من قبيل: ما شأن الأطفال بالعولمة؟ هل إن الأطفال معنيون بالعولمة؟ وهل هي معنية بثقافة الأطفال وأدبهم.

وإذا أردنا لهذه الثقافة، ولهذا الأدب المميز والخاص والحساس، أن يأخذ خصوصيته وفاعليته إلى الطفل بعيداً عن (قوالب) العولمة وصراعاتها وصراعاتها ومحدداتها، كيف يكون العمل؟ وكذلك إذا أردنا لأدب وثقافة الأطفال الاستمرار والتأثير في واقع الطفل، كيف سيكون مصيرهما وفاعليتهما أمام هجمة (التكنولوجيات) التي استحوذت على اهتمام الصغير قبل الكبير بشكل عجيب.

هذه الأسئلة وغيرها العشرات، أصبحت في السنوات الأخيرة كثيرة الإلحاح على رؤانا، وأفكارنا، وتوجهاتنا، ونحن نفكر بإيجاد الجديد، وابتكار الإبداع المتقدم في أدب وثقافة الأطفال في عصر (العولمة والتكنولوجيا) بحيث يساير هذا العصر وتطوراتها، دون أن نفقد الخصوصية والأصالة، التي نتميز بها.

* الخروج من المأزق التاريخي

وبهدف الإجابة الشافية عن كل هذه التساؤلات بشكل علمي مناسب بعيداً عن التشبث في الأحكام الجاهزة، والانغلاق السلبي على الذات، وللخروج من المأزق التاريخي، وإشكالاته، لابد من الانطلاق بوعي تام إلى المستقبل، ويأخذ بنظر الاعتبار خصوصيتنا الحضارية والثقافية للتعامل مع المستجدات التكنولوجية التي غزت العالم بلغة واحدة، ولابد من التعامل مع الواقع الجديد بعلمية عالية تمكننا من وضع الإجابات الشافية المناسبة لكل التساؤلات، ولكي لا نقع في الشرك المعداد لنا، لابد من إتباع العلم والأساليب العلمية في برامجنا الثقافية وأساليب توجيه خطابنا الثقافي للطفل.

تري هل ننجح في هذا الاتجاه؟ ونتمكن من الإمساك بروافدنا الخاصة وعدم الضياع في المجرى العام، خاصة ونحن الآن نشعر بحيرة وقلق شديدين، ومرد هذه الحيرة، وهذا القلق نابع من الواقع المضطرب الذي نعيشه، نعم نعيش واقعاً متغيراً بشكل مذهل وسريع ومضطرب، باتت الآلة والأجهزة التكنولوجية هي المتحكم الرئيسي فيه، وهي التي توجه مصائره، وقيمنا، وسلوكياتنا، وأفكارنا، وثقافتنا.

من هنا يزداد قلقنا، وتكبر حيرتنا، خاصة في نظرتنا إلى المستقبل والطفل، هذا في الواقع الراهن، فكيف الحال عليه في المستقبل، الذي سيشهد تطوراً أكبر، واتساعاً أشمل مما هو عليه الآن، في الوسائل التكنولوجية، والتي من المخطط، والمؤمل لها أن تدخل حتى في القرى والأرياف، وتعم كل مساحات الكرة الأرضية، فهل نعي هذه الحقيقة، ونتأملها جيداً، لكي لا نكون خارج السرب في تحليله المتواصل، خاصة إذا ما أدركنا حقيقة واقعنا الراهن، فنحن في عموم الثقافة العربية ما زالت أساليبنا في مخاطبة الطفل ثقافياً وتربوياً هي نفسها الأساليب التقليدية التي اعتدنا استخدامها منذ عشرات السنين (وفي الوجه الآخر، حقق العلم إنجازات خرجت عن التصورات، فوصل الإنسان إلى الكواكب الخارجية، وقصرت مسافات الأرض، وتحولت إلى قرية كونية، بفعل الاتصالات الالكترونية، وفكت أسرار 95 بالمائة من الجينات التكوينية، واستنسخ الحيوان، وأنذر باستنساخ الإنسان، وذهب بعض المتطرفين من العلماء إلى تبشيرنا بتحويل الجنس البشري إلى ذرات مع انتهاء الربع الأول من القرن الثالث، والله أعلم ماذا بعد ذلك)⁽¹⁾.

* إنجازات العالم الحديث

تري.. هل يظل حالنا على حاله؟ والعالم - خاصة العالم الصناعي - يتحول تحولاً جذرياً، وكل يوم يخرج علينا بانجاز جديد من إنجازاته المتواصلة، ويغزونا بتحولاته هذه، بل ويسيطر علينا شيئاً فشيئاً شئنا أم أبينا، عبر

(1) منصور، عيد - (2001) ثقافة الطفل العربي أمام تحديات تكنولوجيا السمعيات والبصريات، بحث مقدم إلى المؤتمر الحادي والعشرين للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، بغداد، العراق

شبكة تطوراته التكنولوجية المتسارعة التي أصبحت من المصادر المهمة والأساسية للعلم والتطور والنهوض بمستلزمات الحياة، وبات دونها لا يمكن لأي مجتمع من المجتمعات الإنسانية أن يتواصل مع العالم، أو يرفع من مستوياته العلمية والتقنية في استخداماته الحياتية المختلفة دون أن يعتمد أساساً على هذه الوسائل بكل ماهياتها.

من هنا أصبح من الضرورة الانسحاق وراء التكنولوجيات، والتراجع عنها يعني العودة إلى الوراء، وعدم الاتصال مع العالم الخارجي، وبالمقابل فإن اللهات وراء هذه التقنيات التكنولوجية، والاستسلام لها بالكامل، دون وعي، ومحيص، يعني الخضوع لسيطرتها، والانقياد لإرادتها، والانسلاخ بشكل أو بآخر على مرور الزمن، من محددات الخصوصية، وأنساقها الثقافية، وهذا ما تسعى إليه العقول المخططة، التي تقف وراء إنتاج هذه التقنيات، ومستجداتها، سواء في المستقبل القريب، أو في المستقبل البعيد.

وبالمقابل لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ننعزل عن العالم، ونعمل بمعزل عن تطوراته، وتقنياته، ولا يمكن أن ننمي قدراتنا، ونطوّر وسائلنا دون الاعتماد على تلك التكنولوجيات، وتوجهاتها المعرفية والعلمية والثقافية، التي تعددت أغراضها وفوائدها لتشمل مجمل الاستخدامات والحاجات، في ألها وألها من حركة الحياة ومفاصلها الأساسية، ومنها على وجه التحديد المفصل الثقافي الذي هو مثار قضيتنا هنا، وبشكل خاص ما يتعلق بثقافة الأطفال، وعلاقتها الاتصالية والتقنية، والعلمية بالتطورات التكنولوجية الحديثة، واستخداماتها المتعددة في الشأن الثقافي والتربوي والتعليمي الذي يعني بمخاطبة الطفل.

ومن هنا أيضاً يبرز السؤال الشائك، الذي تتشكل منه مجمل محاور القضية الأساسية في أمر التكنولوجيا والثقافة الوطنية، وإشكالاتها، وهو: كيف يمكن لنا الانسحاق وراء التكنولوجيا واستخداماتها في كل مفاصل الحياة، ونعتمد على وسائل تلك التكنولوجيا لتطوير خطابنا الثقافي، وقدراتنا ووسائلنا، دون

أن نفقد خصوصيتنا، ودون أن نفقد سيطرتنا وتوجهاتنا على مجمل آليات التكنولوجيا في واقعنا الذي نريد له أن يحمل خصائصه، ومميزاته في كل الأحوال، والأوقات .. بحيث تمتلك التقنية المتقدمة شأننا شأن الآخرين على وجه الأرض، وبنفس الوقت تمتلك هويتنا الثقافية المميزة.

ومن أجل تحديد ذلك، والوصول إلى الفهم الصحيح لكل ما يحيطنا، والدخول بشكل دقيق إلى مفاصل هذه القضية وتشعباتها وتداعياتها الخاصة بنا وبالأحر، بإلها وبإلها من جوانب الاتصال الثقافي المتواصل بين الشعوب يمكن القول: إن ثقافة الأطفال في واقعنا الراهن، المحلي والعربي تشهد الآن وفي المستقبل القريب، تحدياً كبيراً يضعها في مواجهة مع نفسها، أما أن تكون أو لا تكون، وهذا التحدي بطبيعته الواسعة تتجاوز خطورته ومؤثراته، ما كانت تواجهه هذه الثقافة في أطوارها السابقة، منذ سنوات بعيدة.. والذي تمثل سابقاً بـ (الغزو الثقافي) وأساليبه واتجاهاته المتعددة، التي سعت لاختراق خصوصية (ثقافة الأطفال) وتنميطها وفق إرادته، وأفكاره وخططه، التي تم الكشف عنها، وتشخيصها من قبل المعنيين من المفكرين والمثقفين والباحثين، في طروحاتهم وتشخيصاتهم ودراساتهم وأبحاثهم التي ما سكنت يوماً عن الحديث المتواصل عن أخطار هذا الغزو الثقافي وأبعاده ومراحلها، وأساليب تسله إلى المفاصل الثقافية في واقعنا الحياتي، عبر النتاج الفكري والثقافي الذي وجدناه متيسراً أمام الجميع بسهولة، وفي متناول أطفالنا بشكل واسع، حتى طغى على النتاج المحلي، وكأنه بذلك يقول لنا بكل جدارة وثقة، أن نتاجكم الثقافي الموجه لأطفالكم تشوبه الصعوبات، ويحمل الكثير من المعوقات، وبه من مكامن الضعف والخلل ما يجعله غير مستساغ لأطفالكم، والنتاج الجيد والملائم لسن الأطفال هو هذا النتاج الذي أقدمه لكم بكل يسر⁽¹⁾.

وبالفعل وجد هذا القول صحته لدى الكثير، وقد ساعدنا نحن جميعاً على انتشار النتاج الثقافي الوافد، وجعله يستحوذ على اهتمام أطفالنا، من

(1) الكعبي فاضل (1999) المداخل التربوية ومركرات التجانس المعرفي في ثقافة الأطفال ، دار الشؤون الثقافية ، الطبعة الأولى، بغداد، العراق.

خلال تجاهلنا التام لأهمية الثقافة والإعلام في حياة الطفل عندنا.. بل وصل الأمر إلى الاستهانة بكل ما نقدمه من زاد ثقافي للطفل، وعده غير مهم للطفل، وليس بالضرورة أن تكون هناك وسائل ثقافية وإعلامية للطفل، لذا نجد من بين أكثر من مئة صحيفة ومجلة في المجتمع، تكون هناك مجلة واحدة موجهة للأطفال، وهذه المجلة تفتقر إلى الكثير من المقومات الإعلامية والفنية والمادية وحتى الطباعية التي تؤهلها أن تكون واسعة الانتشار وجديرة باهتمام الأطفال في كل المناطق، وفي عموم مناحي البلاد، وهذه المجلة بالكاد تصل إلى واحد بالمائة من الأطفال في العاصمة فقط، وهذا يعني وجودها من عدمه على حد سواء.. وإذا ما فكر ناشر أو مثقف أو صاحب مؤسسة طباعية أو صحيفة ما بإصدار مجلة للأطفال، فإنه يحسب قبل كل شيء للجانب المادي، بوصف المجلة مشروعاً تجارياً بنظره قبل أن يكون مشروعاً إعلامياً وثقافياً وتربوياً، وحين تواجهه أرقام التكاليف العالية لهكذا مطبوع، فإنه يسرع إلى إلغائه، أو اللجوء إلى استنساخ مجلة أجنبية للأطفال وإعادة تعريبها، ليدعي بإصدار مجلة خاصة للأطفال، وهذا النوع بتقديري هو ترويج واضح للإعلام الوافد بطريقة أو بأخرى.

تري كم من الناشرين يفكرون بهذا المستوى قبل الإقدام على إصدار مطبوع للأطفال، يلبي حاجاتهم، ويستجيب لطموحاتهم؟ وهل من المعقول أن يبقى الحال هكذا؟ ويظل مطبوع الأطفال - وهو جزء مهم وأساسي من ثقافتهم - خاضعاً للمعايير المادية والنظرة إليه من الزاوية التجارية التي تحسب للربح والخسارة، قبل المعايير التربوية والثقافية، وأعتقد أن اللوم لا يقع على الناشرين المحليين فحسب إنما يقع على المؤسسات المعنية بالدرجة الأولى، التي يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار مبدأ الخسارة من أجل الربح!! نعم الخسارة من أجل الربح في مطبوع الأطفال، أي إنها تخسر مادياً من أجل أن تربح تربوياً وثقافياً.. وبمعنى آخر، إنها في الجانب المادي ترصد المبالغ الطائلة لتدعم الخبرات والكوادر الجيدة والإمكانات المتميزة من أجل أن تنتج المطبوع المتميز الذي تهدف من خلاله إلى كسب الطفل

وتنمية مدركاته ومهاراته وإشاعة ثقافته الخاصة، وهذا ما يبتغيه مطبوع الأطفال بالدرجة الأولى، وإذا كانت النسخة الواحدة من مطبوع الأطفال تتجاوز كلفتها المادية (ألفي دينار) فإنها يجب أن تصل إلى الطفل أقل بكثير من هذا المبلغ، ومن أجل أن يكون المطبوع جماهيرياً يجب أن يحصل عليه الطفل بسعر رمزي لا يثقل كاهل الطفل وأسرته، والقيام بهكذا مشروع لا يقوم به ناشر يحسب الربح والخسارة مادياً، إنما تقوم به مؤسسة من مؤسسات الدولة التي تأخذ بمبدأ (الخسارة من أجل الربح) الذي نقترحه هنا.. وهذا المبدأ هو الصائب، وهو المبدأ السليم في نجاح وانتشار مطبوع الأطفال بين جمهور الأطفال.

* ثقافة النشء الجديد

إن هناك العديد من المؤسسات الثقافية المتخصصة في العالم، تجهد في إخراج المطبوع المتميز للأطفال، وتعتمد إلى توزيعه مجاناً ليصل إلى نسبة كبيرة من الأطفال في بلدانها، وهي بذلك تخسر الأموال الطائلة، غير أنها تربح الكثير، فهي تربح الأطفال إنسانياً وثقافياً وتربوياً، فمتى تعي مؤسساتنا ذلك، وتخرج من نظرتها الضيقة للطفل ومطبوعاته الثقافية والإعلامية؟ وتعي مسؤولياتها تجاه هذه المطبوعات، وتنطلق منها بشكل أساسي لتحصن عقول الأطفال من متاهات الوسائل التكنولوجية المفتوحة؟ فوجود مطبوعات الأطفال المحلية من شأنه أن يعزز وعي الطفل بثقافته، ويحصن هذه الثقافة، ويجعل الطفل أكثر قدرة على التمييز والاهتمام بهويته الثقافية ومكوناتها، لكن الأمر عندنا - للأسف الشديد - عكس ذلك، إذ نجد أن مطبوعات الأطفال عندنا من مجموع وسائل الصحافة والإعلام العامة لا تشكل سوى نسبة لا تتجاوز (1 %) واحد بالمائة، أما في ساعات البث التلفزيوني التي تستمر (24) ساعة تقريباً فحصة الأطفال منها لا تتعدى الساعة أو نصف الساعة على أدنى تقدير.

وأمام هذا الحال يحدوننا سؤال لا يخرج عن هذا الإطار وهو: كيف يمكن

لثقافة أطفالنا ان تفرض وجودها الحقيقي - المادي والمعنوي - أمام سطوة الثقافات المتعددة التي تحملها (التكنولوجيات) الآتية من كل جهات العالم؟ والتي أخذت مجالها وتأثيرها في عقول ومشاعر وضمائر أطفالنا، وبتنا لا نستطيع السيطرة على خطابها الثقافي المتعدد الجنسيات والاتجاهات، وهو يوجه أطفالنا، ويحركهم على وفق أفكاره وقيمه وخططه المغلقة بالألوان الجذابة، والمتعة الفائقة على مدار الساعة، وراح يخترق ملامح خصوصيتنا الثقافية شئنا أم أبينا⁽¹⁾.

وإذا كانت ثقافة الأطفال في واقعنا العربي المضطرب في أطوارها السابقة، قد سعت إلى تحصين خصوصيتها وهويتها العربية والإسلامية من أشكال الاختراق وأساليب الغزو الثقافي، واستطاعت أن تسيطر - نوعاً ما - على بعض أشكاله، التي كانت السيطرة عليها ممكنة ، قبل (الإنترنت والفضائيات) فكيف الحال بنا الآن، وقد أصبح التطور التكنولوجي هو المشكلة الأكبر، وهو الخطر الأكيد الذي يصعب معالجته، رغم ما يحمله هذا التطور من إيجابيات وفوائد علمية كثيرة تخدم الإنسان، وإذا كان خطر الاختراق الثقافي في السابق، يكمن في قصة مترجمة ، أو في مجلة وافدة، أو في فيلم كارتوني وغير ذلك، فالخطر الآن يكمن في خطط (العولمة) وانسيابية (الفضائيات) المتعددة المسارب والاتجاهات، و (الإنترنت) و (V . C . D) والألعاب الالكترونية وغيرها من وسائل التكنولوجيا، التي أصبح المجال فيها مفتوحاً على مصراعيه لأسباب (الغزو الثقافي) الجديد، ومن كافة الاتجاهات والمنافذ والمسارب المتعددة التي وجدت في العصر الرقمي، و الخطر الآن يتعاضد ما لم نواجهه، ونعمل على تحكيم أدواتنا الثقافية ونعمل بجد و إخلاص على تطويرها، وعلى تشذيب أساليبنا في مخاطبة الطفل والكتابة إليه، وإبعاد هذه الكتابة من الأساليب المتخلفة الجاهزة، وإبعادها عن القيم الخرافية والبالية، لتكون مؤهلة لجذب اهتمام الطفل ومواجهة مغريات الثقافات الوافدة، وإشاعة

(1) الكعبي فاضل (2005) الإنسان المعاصر والأزمة الحضارية (مظاهر الأزمات الأبجدية والتكنولوجية وتسيد الثقافة العلمية) جريدة الزمان، العدد (2120) في 26 أيار 2005.

الوعي الكامل بطرق استخدام التكنولوجيا، وتسخيرها لخدمتنا علمياً، بوصفها أداة للاتصال الثقافي والعلمي لا أداة للهو والمتعة وإشغال الفراغ، والتأثير الأعمى بتطوراتها.

الطفل واللعب ثقافة العنف الإلكتروني

لا أحد ينكر ما للتطورات التكنولوجية الحديثة من أثر فاعل، وقدرة عجيبة، في تطور التقنيات ووسائلها الأساسية المستخدمة في مجمل اشتغالات الإنسان وسبل نشاطه العلمي، المؤثر في تسيير عجلة الحياة وواقعها المتعدد الاتجاهات .. لا أحد ينكر أهمية هذه التطورات وغاياتها، ومعطياتها، فيما أفرزت من وسائل وإمكانيات تكنولوجية غاية بالأهمية والضرورة، والتي فرضت بموجب ذلك سطوتها وسيطرتها الكاملة على وعي الإنسان ونشاطه وحاجته، وعلى مجمل فعالياته ومناشطه الفكرية والذهنية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها .. وبذلك باتت هذه (التكنولوجيات) تشكل حاجة أساسية من حاجات الإنسان المعاصر، وضرورة لازمة لا يمكن الاستغناء عنها أو تجاهل دورها في الحياة العامة وأوجهها المختلفة، كالكمبيوتر باستخداماته المتعددة، والإنترنت وأسلوبه في الاتصال والمعلوماتية، والفضائيات باتصالاتها وبثها المتعدد الوجوه والمنافذ، وما إلى غير ذلك من تقنيات التكنولوجيا الحديثة.

* تأثيرات عكسية

إلا أن هذه التطورات وأوجهها التكنولوجية مع أهميتها وفوائدها وضرورات الحاجة إليها، قد أفرزت في جانبها الآخر الكثير من الاتجاهات المعاكسة، والتأثيرات الخطيرة على واقع الإنسان المعاصر وثقافته، ومن بين ذلك كله ما عكسته التكنولوجيا على لعب الطفل ونشاطه في اللعب من تأثيرات سلبية كبيرة تكاد تشكل نسبة كبيرة في هذا الاتجاه، الذي يأخذ مجاله الواسع في حياة الطفل، خاصة إذا ما أدركنا أن مدار حركة الطفل ومجمل نشاطه اليومي وقواعد فعالياته الأساسية قد اتخذت من اللعب منطلقاً حيويّاً وهاماً في حياته، وهذا اللعب في فعالياته وفي وسائله من الألعاب قد انطلق من اتجاهين أساسيين، اتجاه سلبي واتجاه إيجابي، وبات الاتجاه

السلبى يغلب على الاتجاه الإيجابى فى اللعب والألعاب، خاصة بعد انفتاح الطفل على كافة الجهات والاتجاهات والوسائل والقنوات والمنافذ والاختيارات الإعلامية والاتصالية والاجتماعية والثقافية، التى تفتح له كمّاً هائلاً من الأشكال والمضامين التى تدخل فى توجيهه وتربيته وثقافته وتسليته وإمتاعه، والتى راحت بشتى الطرق والإمكانات والوسائل تغري ميوله وتوسع من رغباته الاستهلاكية وتثير غرائزه ودوافعه باتجاهات متعددة لا يمكن السيطرة عليها بسهولة، خاصة فى اتجاهات الألعاب الحديثة.

فبعد ما وضعنا الألعاب التقليدية بجانبها السلبى فى إشكالات عديدة، ومخاطر جمة، وبتنا نعانى من تأثيراتها وانعكاساتها ونتائجها السلبية فى أكثر من ظاهرة من ظواهرها المتعددة فى واقع المجتمع ورحنا نوّشر ذلك، ونبحث له عن حلول ومعالجات، لعنا من خلالها نسيطر على حجم المشكلة وتناميها المتواصل الذى يشكل تحدياً خطيراً لثقافة الطفل، ورحنا نسعى لتجنب مؤثراتها السلبية، ونقوّض آثارها المتعددة على كافة اتجاهات الطفل ومناحي حياته، تلك الآثار السلبية التى راحت تتوسع وتوسّع من حجم تحديها الصارخ لوعينا ووسائلنا وأساليبنا التربوية والثقافية والاجتماعية، بعد أن وجدت من يغذيها ويمدها بعناصر القوة والمطاولة والتحدى من اتجاهات متعددة، أبرزها الوسائل التكنولوجية الحديثة ومظاهرها المتعددة، فى وسائل الاتصال الأساسية المقروءة والمسموعة والمرئية، وخاصة التلفزيون ومظهراته الفديوية والفضائية، والكومبيوتر ومظهراته فى الإنترنت والألعاب الالكترونية، إلى جانب التأثيرات الأخرى المتفاعلة فى سلوك الطفل، والتى تأتى من إفرازات الواقع اليومى، لتصب فى خدمة هذه الاتجاهات .. فبعدما عانينا وما زلنا نعانى من اتساع حجم الآثار السلبية لعدد من الألعاب التقليدية، وخاصة بمظاهرها الحربية والعنيفة المثيرة التى كرسّت مخاطرها فى ثقافة الطفل وصحته النفسية والعقلية، أصبحنا الآن أمام مشكلة أكبر هى مشكلة الألعاب الالكترونية التى أحدثت نتائج وانعكاسات سلبية متعددة أكبر مما أحدثته الألعاب التقليدية فى اتجاهاتها السلبية.

وكما هو معروف في العصر الحديث، أن (الألعاب الالكترونية) تعد من أكثر المغريات التي قدمها (الكومبيوتر) في تقنياته ، والتي راحت تجذب الأطفال إليها، وتدفعهم إلى اللعب المتواصل في ميدانها، وقضاء الأوقات الطويلة في ممارسة هذا اللعب كيفما شاء الطفل، وبشتى أصناف الألعاب، وأشكالها بحرية تامة ، تتيح للطفل أغناء حاجته وميوله من هذه الألعاب، التي تدفعه إلى اكتشاف قدراته وتدريب مهاراته في اللعب، واكتساب المزيد من الخبرات التي تنتجها الألعاب الالكترونية عبر (الكومبيوتر).

ومع أن هذه الألعاب تسهم بتطوير نشاط الطفل في اللعب، وتزيد من مهاراته، وتنشط مجالات تفكيره، وإثراء مخيلته وتنشيطها باتجاه أوسع، وتدفع قدراته إلى النمو والإدراك الواسع، إلا أنها بنفس الوقت تحمل الكثير من المضار على الطفل، وخاصة على صحته الجسدية والنفسية والعقلية والسلوكية، وعلى مجمل أنماط ثقافته بشكل عام ، وذلك عبر ما تفرزه الكثير من الألعاب الالكترونية من معطيات سلبية ونتائج خطيرة تعمل على إشاعة (الثقافة السلبية) المتمثلة بـ (ثقافة العنف) التي تحملها هذه الألعاب، في أشكالها ومضامينها وما تضحّه من نزعات عدوانية عديدة تهدد الثقافة الإيجابية وتعمل على تقويض قيمها وقدراتها ومؤثراتها في كيان الطفل وسلوكه ، لتحل محلها (ثقافة العنف) ونزعتها الساعية إلى تكريس قيمها ووجودها في سلوك الطفل وثقافته، خاصة بعد أن أصبح العنف ظاهرة بارزة في مجمل الألعاب الالكترونية عبر الكومبيوتر والإنترنت، وألعاب (الأقراص المدمجة C.D) وغيرها.

* ظاهرة العنف ومفهومها في اللعب

يعد العنف من المواضيع الشائكة والمتداخلة بشكل واسع في نشاط الإنسان ومحيطه الحياتي، بعد أن انتشر في عموم المجتمعات كظاهرة اجتماعية سلبية، ومرض نفسي وأخلاقي يهدد كيان المجتمع في صميم أمنه وسلامته، لهذا تعددت تعريفاته وتفسيراته، والنظر إلى أسبابه ودوافعه ونتائجه، لدى

المختصين بدراسته من علماء النفس والاجتماع والتربية وغيرهم.

فالعنف في اللغة العربية يعني الفعل الشديد المناقض للفعل الهادي، أي أنه كما جاء تعريفه في القاموس المحيط للفيروز بادي يعني (الفعل المضاد للرفق أي ضد اللطف واللين).. ويشق مفهوم العنف في العربية أيضاً، كما جاء في المعجم الوسيط، من فعل (عنف) إذ يقال (عُنف به وعليه، أي (أن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف)⁽¹⁾.

وفي اللغة الانكليزية يشتق (العنف) من مصدر الانتهاك أو الاعتداء (To violate) أي إن العنيف هو من ينتهك أو يعتدي.

وبالرغم من التباين والاختلاف في وصف العنف وتفسيره باختلاف الاتجاهات والمنطلقات الفكرية المتنوعة بتنوع أفكارها ومناحيها العلمية وأصحابها المفكرين والعلماء والفلاسفة ورجال الدين والمربين وغيرهم، إلا إنهم جميعاً يلتقون في المعنى العام للعنف وتفسيره على أنه (ظاهرة سلبية، وممارسة سلوكية خطيرة تؤدي إلى مخاطر كثيرة على أمن الفرد وأمن الجماعة وأمن المجتمع)، وهذه الظاهرة أو هذه الممارسة لها أسبابها ودوافعها ونتائجها، وقد اختلف العلماء في دراساتهم المتنوعة والمتعددة لهذه الأسباب والدوافع والنتائج، فمنهم من يرجعها إلى (الصراع الاجتماعي) ومنهم من يعزّيها إلى عوامل ذاتية في تكوين الشخصية ومنشأ السلوك ، وآخرون يرجعونها إلى أسباب التعلم وغير ذلك.

فالذين ينظرون إلى العنف من اتجاهات الصراع الاجتماعي يرونه (سلوكاً جماعياً تمارسه إحدى الجماعات التي تدافع عن قيم خفية تتعارض مع قيم المجتمع أو تتعارض مع القيم التي يراها ممثلو السلطة.. أما علماء البيولوجي والفسولوجي وأهل التخصص في الطب النفسي فيكادون يجمعون على أن العنف مرهون بعوامل فسيولوجية وراثية بالدرجة الأولى، ناتجة عن اختلال جيني معين (الكروموسومات المحددة للجنس) أو ناتجة عن خلل

(1) خير أبو عرب، محمد - (1985) المعجم المدرسي، وزارة التربية ، القاهرة، ص 733.

في إفراز الغدد، حيث يولي عدد كبير من الباحثين أهمية خاصة للهرمونات الجنسية الذكرية بوصفها المسؤولة عن السلوك العنيف، بالإضافة إلى الهرمونات الجنسية الأنثوية، والتي يظهر الاختلال فيها، خاصة في أيام الدورة الشهرية والتي ينتج عنها مظاهر سلوكية أكثر عنفاً لدى المرأة، كما أثبتت الدراسات أن تعاطي الأم لمادة (البرجستين) أثناء الحمل يؤدي إلى ولادة أطفال أكثر عنفاً.. كما أرجعت دراسات الطب النفسي العنف إلى زيادة في النشاط الكهربائي والكيمياء الحيوية داخل المخ، فتحدثوا عن تأثير إصابات المخ والأطراف العصبية المتداخلة بوصفها محدداً مهماً لردود الأفعال الانفعالية الناتجة عن ضعف السيطرة على حالات الهياج العصبي، ثم جاء الحديث عن تأثير تعاطي الخمر والمخدرات على زيادة السلوك العنيف بما تفقده من سيطرة على الذات، كما تم تفسير العنف من وجهة نظر علماء النفس بإرجاعه إلى الإحباط بوصفه رد فعل طبيعياً لما يواجه الفرد من إحباطات، إذ إن الإحباط يولد طاقات في النفس من الضروري أن تخفف أو تتصرف بأسلوب ما، حتى يشعر الفرد بالراحة منها⁽¹⁾.

* المثيرات البيئية للعنف

وإلى جانب ذلك هناك المثيرات البيئية والاجتماعية التي تولد العنف، وتدفع الفرد إلى التأثر بدوافعه واكتساب بعض عناصره بطرق معينة، كالعنف الموجود في واقع المجتمع، المتمثل بالنزعات العدوانية بين الأفراد والجماعات، ومظاهر العدوان في الشارع وفي مشاهد الحياة العامة، وفي محيط الأسرة التي يكثر فيها استخدام العنف بين الأب والأم أو بين الأخوة نتيجة للتفكك الأسري أو عدم التوافق بين أفراد الأسرة وغير ذلك.

كذلك، لا يمكن أن نغفل دور التعلم الاجتماعي في إكساب العنف، كما تذهب الدكتورة هدى أحمد الضوي إلى ذلك حين ترى (أن السلوك العنيف يتم اكتسابه عن طريق الإثارة والتقليد والتعزيز، ويحدث هذا في الغالب

(1) الضوي، هدى أحمد (2004) - العنف والمراهقة، مجلة الطفولة والتنمية، العدد (13) للمجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة

عندما يحصل الأفراد على بعض الإثباتات على سلوكهم العنيف، أو عندما يتوحد مع نماذج من الأدوار يراها أو يتأثر بها في حياته ، وقد أكدت بعض الدراسات أن الفرد قد يلجأ أحياناً إلى العنف كأسلوب لحل المشكلات، ويتم ذلك بناء على خطوات للتعليم تبدأ بنقد الآخرين واتخاذ موقف منهم، ثم تطوير أساليب التصنيف لأبعاد الآخرين، ثم أخيراً محاولة إضفاء الطابع الإنساني والشرعي على أفعال العنف الموجه نحو الآخرين، ويعني هذا أن السلوك العنيف هو سلوك يمكن تعلمه مثل أي شكل من أشكال السلوك الأخرى⁽¹⁾.

وهذا التعلم يزداد وينشط كلما زادت مناشطه والوسائل الدافعة له، والعوامل المشجعة عليه، أمام ضعف أو تراجع التوجيه والرقابة الأسرية في هذا المجال، مما يجعل الفرد متحرراً من القيود أمام العنف وطرق تعلمه واكتسابه، خاصة خلال مرحلة الطفولة والمراهقة، فخلال هذه المرحلة يكون الطفل مهياً لتعلم العنف واكتسابه والتعاطي مع عوامله بدرجات متفاوتة، بحسب نشأته في الواقع الأسري وفي المحيط الاجتماعي، وبحسب طبيعته البيئية والاجتماعية والاقتصادية، وما يتلقاه من مؤثرات ثقافية واجتماعية وتربوية، تؤثر فيها وسائل الإعلام وبالأخص التلفزيون، وعوامل اللعب والألعاب تأثيراً كبيراً، في حجم العنف ونوعيته التي يقع تحت تأثيرها نتيجة لذلك، وخاصة نتيجة التواصل مع الألعاب الالكترونية الحديثة عبر الكمبيوتر والإنترنت و (البلاي ستيشن) داخل البيت، وكل ذلك يساعد على تطوير نزعة العنف في سلوك الطفل وكيانه الشخصي.

* واقع الألعاب الالكترونية

في مراقبة دقيقة لواقع الألعاب الالكترونية ، بجانبها (المسيطر عليه) يارادتنا - إن صح التعبير - عبر (الكمبيوتر) وعبر (جهاز البلاي ستيشن) .. و(المفتوح)، (خارج سيطرتنا) عبر (الإنترنت) نجد أن مضامين هذه الألعاب في الحالتين (الكمبيوتر والبلاي ستيشن والإنترنت) يغلب عليها العنف الصارخ بكل انفعالاته وتفاعلاته.

(1) المرجع نفسه

وهذا يعني أن هذه الألعاب قد أصبحت عاملاً مهماً لإشاعة العنف وترسيخه في نفسية الطفل، حيث باتت نزعة العنف (المجسد إلكترونياً) من النزعات الطاغية والمسيطرة على مجمل الألعاب الإلكترونية، والتي وجدت شيوعها ورواجها ومجالها الواسع من خلال الكمبيوتر ودوره المنتشرة بكثرة في مجتمعنا، والتي راحت تجذب آلاف الأطفال والمراهقين كل يوم، وإذا ما هيئ لأحد أن يدخل هذه الدور فإنه لن يسمع سوى أصوات إطلاق النيران الوهمية طبعاً وأصوات الأطفال والمراهقين تتعالى وهم يحاولون تمزيق الهدف أرباً عن طريق المسدسات والصواريخ والمدافع الحاسوبية، إن هذا كله يفضي إلى نزع الحساسية تجاه العنف وتحويل الضرب والإيذاء إلى أمر عادي يمارسه الكثيرون بشكل عادي كل يوم⁽¹⁾.

وإزاء ذلك فقد تشبّع أطفالنا بالعنف، وتطبعوا على ممارسته في عاداتهم وفي سلوكياتهم، وفي تصرفاتهم مع أقرانهم في المحيط الاجتماعي، ومع إخوتهم داخل البيت وحتى مع أنفسهم في مواقف تمثيلية متخيّلة يقوم بها بعض الأطفال، الذين أشبعت ألعاب الكمبيوتر نزعاتهم وميولهم إلى ممارسة العنف والاعتداء عليه، خاصة بعد أن أصبح العنف حالة مألوفة في الواقع، وممارسة حقيقة تطغى على حياة الطفل، وحياة المجتمع بشكل عام، مما يشكل ذلك تعزيزاً لثقافة العنف التي تبعثها الألعاب الإلكترونية في مضامينها، وتوسيعاً لدائرتها ومؤثراتها في سلوك الطفل، الذي تطبّع على الجرعات العنيفة، ولامس المشاهد العنيفة في واقعه من كل اتجاه، فأصبحت هناك مشكلة كبيرة، تنذر بكارثة إنسانية خطيرة، تهدد حياة المجتمع وصحته النفسية بكاملها، ومرد هذه المشكلة وأسبابها لا تقف عند حدود العنف وثقافته في الألعاب الإلكترونية فحسب، إنما تتجاوزها إلى مؤثرات الواقع اليومي، وما يشهده من تطور في عنف الشارع، فماذا يحدث للطفل بشكل خاص إذا ما تشبّع بثقافة العنف التي يتزوّد بها من ألعابه الإلكترونية، وفوق ذلك يزداد مشاهدته، وملامسة للعنف الحقيقي في حياته العامة، ماذا يحدث لهذا

(1) الشريف، نبير (2004) - دور وسائل الإعلام في الحد من العنف ضد الأطفال، جريدة الدستور، عمان، الأردن

الطفل؟.. وماذا تكون عليه ثقافته، وسلوكياته، وانفعالاته، وصحته العقلية والنفسية؟ من المؤكد أن مثل هذا الطفل سيكون عرضة مباشرة للصدمات النفسية والأمراض العقلية، وستكون شخصيته بؤرة لكثير من الصعوبات والمشكلات والانحرافات السلوكية والتربوية والاجتماعية والثقافية، وسيكون بذلك طفلاً معاقاً، ذهنيًا وفكرياً، وسلوكياً، وثقافياً، إضافة إلى ما يحمله من صدمات وأمراض نفسية أخرى نتيجة لتعرضه لعنف الواقع.

وفي هذا الاتجاه تذهب الباحثة الاجتماعية حكيمة عبد الواحد في رأيها إلى أن: للمرض النفسي خطورة كبيرة على الشخص المصاب، ويمكن أن تتفاقم إذا لم نعالجها بجدية وخاصة مثل حالات الفصام المزمن، أو الكآبة المزمنة، وكذلك الاضطرابات النفسية المزمنة والشديدة، وأما العنف والاعتداءات التي تمارس ضد الأطفال في العمل والشارع والبيئات الخطرة فتخلق أجواء تعكر صفو الحياة والتمتع بها وتنجم عنها أمراض ومشاكل اجتماعية تتطلب العمل باتجاهين الأول القضاء على مسببات هذه الأمراض والثاني تضافر كل الجهود ومعالجة المصابين بها، ولأننا نعاني من بيئة مليئة بالعنف بأشكاله المختلفة وخاصة ما يتعرض له الطفل سواء في البيت أو المدرسة من حالات نفسية ناتجة عن الانفجارات التي تخلف القتل والأصوات الناتجة عنها، والتي أيضاً تبث الرعب في نفوس الأطفال عندما يفقد الطفل شخصاً يحبه مثل والده أو والدته أو أخيه أو صديقه فإن تأثير هذه الصدمة يكون واضحاً على الطفل، وهناك أطفال لديهم استعدادات لتقبل الأمراض النفسية⁽¹⁾.. مثلما هناك أطفال لديهم استعدادات سريعة ونشطة لتقبل العنف والاعتياد عليه وممارسته بشكل واضح، بعد تعرض هؤلاء الأطفال إلى العنف ومشاهده الحية في واقع الحياة، بشكل متواصل فتظهر لديهم نزعات عنيفة تعمق (ثقافة العنف) في نفوسهم، وهذا يدفعهم إلى السلوك العنيف، وإلى اللعب العنيف، وإلى ممارسة الألعاب التي تمثل أشكال العنف ومضامينه.. وقد درس العلماء هذه الظاهرة من كل اتجاهاتها وتوصلوا إلى التشخيص الدقيق.

(1) غالب مشتاق (2006) الطفولة والأمراض النفسية، المشرق، ع (677) نيسان بغداد، العراق

ففي دراسة علمية لتحديد العوامل التي تسهم في تطور العدوانية وسلوك العنف عند الأطفال قام بها فريق من الباحثين في جامعة (كيس ويسترن) بالتعاون مع باحثين في جامعة (كنت) بولاية أوهايو الأمريكية، تابعت الدراسة الحالة الصحية لأكثر من ألفين ومائتي طالب في المدارس العامة، تراوحت أعمارهم (بين سبعة أعوام وخمسة عشر عاماً)، من خلال مسحات مجهولة لتشجيعهم على التحدث عن أنفسهم، وأوضاعهم في المنزل، ووجد الباحثون أن ثلاثة عوامل رئيسة شائعة زادت من فرص تطور العنف بين المراهقين الذين أظهروا سلوكاً عدوانياً منها: تعرضهم للعنف سواء بمشاهدة أعمال عنيفة أو السماع عنها، ونقصان الرقابة الأسرية، وعدم اهتمام الآباء بأطفالهم، إلى جانب مشاهدة الأفلام التلفازية والسينمائية العنيفة التي تزيد من انخراط الأطفال في السلوك العدواني بنسبة أكبر، وشدد الباحثون على ضرورة مراقبة الآباء لأطفالهم، وخاصة في ما يتعلق بتعرضهم للعنف مع تقديم برامج وخدمات مناسبة للذين يميلون للعنف على أمل منع تطور السلوك العدواني لديهم في المستقبل، وإن القول بأنَّ الطفل يقضي عدة ساعات جالساً إلى الحاسوب أو في مشاهدة التلفاز، لا يعني أنه ينهل العلوم والمعارف، إن الطلب من الأهل القيام بدور الرقابة على ما يطلع عليه الأطفال عبر وسائل الإعلام ينطوي على ظلم لبلدان العالم الثالث، فهناك أولاً مشكلة الأمية، فكثير من الآباء والأمهات أميون أو أنهم لا يجيدون اللغات الأجنبية مما يجعل الأطفال يحلقون في هذه الفضاءات المضطربة وحدهم دونها هادٍ أو دليل، أما المشكلة الأخرى التي لا تمكن الأهل في العالم الثالث من فرض مراقبة على مضامين الوسائل الإعلامية التي يتلقاها الأطفال فتكمن في الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي تجعل الآباء يزاولون أكثر من مهنة تبعدهم عن بيوتهم معظم ساعات النهار والليل⁽¹⁾.

إن ذلك كله وغيره من المشكلات التي تزيد من حجم المعاناة والتأثيرات السلبية التي تفرزها الوسائل الإعلامية ومنها الألعاب الإلكترونية وألعاب

(1) الكعبي فاضل (2006) الطفولة واللعب وما بينهما، مجلة الطفولة، ع (7) الجمعية العراقية لدعم الطفولة، بغداد، العراق.

الإنترنت على الطفل، وفي السنوات الأخيرة أخذ المجتمع الدولي يشعر بتفاقم مشاكل العنف التي تنتجها ألعاب الكمبيوتر وألعاب الإنترنت على الطفل، إلى جانب الواقع العنيف الذي يعيشه الطفل، ويلمس العنف الواقعي بكل أشكاله وأصنافه في اتجاهات الحياة، وهذا كله يعزز من ثقافة العنف في نفس الطفل، ويدفعه أكثر إلى ممارسة الألعاب العنيفة لأنها في تصويره انعكاس تمثيلي للعنف الواقعي، يجعله أكثر اعتياداً على العنف الحقيقي وآثاره، ولا يعلم أن هذه الممارسة تدفعه أكثر إلى العنف وتبعده عن الحساسية تجاهه.

* الألعاب الإلكترونية ودور الأسرة والمجتمع

في السنوات الأخيرة، شعر المجتمع الدولي ومؤسساته بتفاقم مشاكل العنف التي تنتجها ألعاب الكمبيوتر وألعاب الإنترنت وغيرها من الألعاب الإلكترونية الأخرى وباللغة التأثير على الأطفال، فأخذ يواجه ذلك بوضع بعض الحلول المناسبة، واتخاذ بعض الإجراءات لذلك، حيث بدأت مدينة (لوس انجلوس) الأمريكية تطبيق قانون يحمي الأطفال والمراهقين من عنف ألعاب الكمبيوتر والإنترنت، وذلك بوضع هذه الألعاب تحت المراقبة الشديدة، إلا أن آليات المراقبة لا تزال غير جاهزة بعد، ولا تملك أجهزة الشرطة بعد جهازاً من المفتشين، إلا أن القانون ينص على إنشاء (30) قاعة في المدينة يطبق فيها الحظر، وتثبت فيها كاميرات مراقبة على الأحداث في السن، وستمنح المدينة تراخيص تتضمن شروط ألعاب الإنترنت والكمبيوتر المسموح اعتمادها والفئات العمرية لكل منها، ولدى البدء بتطبيق القانون تكون مدينة لوس انجلوس من أول المدن التي تطبق حظر ألعاب الكمبيوتر والإنترنت العنيفة على المراهقين، بعد تصاعد أحداث العنف وإطلاق النار قرب قاعات الألعاب عام (2002).

وبالرغم من كل ذلك فإن المشكلة مازالت تتفاعل، وتتسع أبعادها يوماً بعد يوم، دون أن تكون هناك حلول جذرية لها، وفي هذا الاتجاه تقول الدكتورة عزة كريم أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية

والجنائية في القاهرة: (إننا نعاني في المجتمع بشكل واضح من العنف في الشارع والمدرسة وحتى في كل المجالات التي نعيشها ولم نحاول أن نعالج الأسباب التي أدت إلى العنف والقسوة في تناول أمور حياتنا، هذه الأسباب مختلفة، أهمها ما يشاهدونه على شاشات التلفزيون والفضائيات من مشاهد عنيفة ومثيرة للغرائز العدوانية، ثم الألعاب الإلكترونية الممزوجة بالعنف والقوة، وللأسف أصبح الأهالي يرحبون بهذه التسلية طالما توجد في أماكن آمنة ومختلفة دون أن يلقوا لها بالاً، وما سيعود من سلوك عدواني في المستقبل القريب، وذات مرة دخلت نادياً من نوادي الإنترنت فوجدت ألعاباً مختلفة، فلاحظت أن كل الألعاب التي يلعبها الأطفال والشباب تدخل في إطار العنف أو استخدام الأسلحة التقليدية والأسلحة ذات الخيال التي تبيد، أي (المحرمة دولياً) من ينتصر يصبح هو القاتل الفائق فيتعلم الطفل أن يقاتل حتى يكون هو الفائز مما يعلمه العنف والقسوة، وهناك شكل آخر هو لعبة عبارة عن حيوانات شكلها مألوف وغير مألوف تشتبك وتقاتل كل منها الأخرى، وتختلف الألعاب حسب المرحلة العمرية للاعب، وهناك شكل آخر للألعاب وهو ما يغرس العنف بين الرجل والمرأة وهو العنف النوعي، والغريب في هذه اللعبة أن المرأة في النهاية هي التي تنتصر وهنا يحدث غرس في مخيلة الطفل أن هناك صراعاً بين الرجل والمرأة، وهذا الصراع أزمي لأبد لحدوثه في الواقع أو في الوهم كما يشجعها المجتمع، أي أن هناك صراع النوع، وكذلك هناك العنف في الرياضة، فإن ألعاب العنف في الرياضات المختلفة هي التي تجذب الأطفال والشباب، وهي الشكل المميز والأمثل للألعاب حتى الشباب والمراهقون يريدون الرياضة عنفاً فيقدمون على ألعاب الكاراتيه والتايكوندو والجودو والمبارزة.. المشكلة لم تقتصر على إثارة العنف فقط بل العصبية الشديدة والتوتر فيحاول الطفل أن يمارس هذا في الواقع بين أخوته وأصدقائه في البيت والمدرسة والنادي، ويدعم هذا الشعور بعض المشاحنات المنزلية التي لا تخلو منها بيوتنا وبيئتنا وطبيعتنا فيدخل من عنف إلى عنف⁽¹⁾.

(1) عاشور وليد (2006) أوكار الإنترنت تهدد أطفالنا، جريدة أخبار الحوادث، ع (729) القاهرة، مصر.

من هنا يجب أن تكون الأسرة بالدرجة الأولى هي الرقيب على الطفل، وهي الموجه العام لسلوكه ولنشاطه في كل ما يقوم به داخل البيت أو خارجه، وأن تكون صلتها بالطفل صلة مباشرة وعميقة لا تخلو من المساءلة والتدقيق والتنبيه والتوجيه، لمعرفة كل ما ينتاب الطفل من مشكلات وتوجهات وميول، والعمل على حل هذه المشكلات قبل تفاقمها ووصولها إلى الحالة التي يصعب السيطرة عليها وحلها، كذلك يتطلب من الأسرة توجيه الطفل توجيهاً صحيحاً والوقوف على توجهاته النفسية وميوله في اللعب وفي السلوك بغية تعديل هذه التوجهات نحو الوجهة الصحيحة، وجعل ميوله إيجابية في اللعب وفي السلوك، أما أن يترك الطفل في شأنه دون رقيب أو هادٍ أو موجه فهذا هو الطريق المؤدي إلى الانحراف والخطأ، خاصة في قضية الإدمان على الألعاب العنيفة والتعلم منها قيم العنف وثقافته .. فالأسرة باعتقاد الدكتور أحمد المجذوب عالم الاجتماع والخبير الاجتماعي والجناي تلعب دوراً واضحاً في توجيه اهتمامات الطفل وانصرافه إلى الألعاب الإلكترونية، ويتطلب من الأسرة الانتباه لأبنائها وضرورة مناقشتهم في أمور الألعاب هذه وخطورة إدمانها .. والأسلوب الأمثل للتعامل مع هذه المشكلة برأي المجذوب هو (الحوار والإقناع وبيان ما فيها من أضرار ومضيق للوقت وتوضيح مدى واقعية هذه الألعاب المثيرة البعيدة كل البعد عن الواقع والحقيقة آخذين في الاعتبار أن هناك حدوداً عند الأطفال لاحتمالية عدم تقبل النصيحة في البعد عن هذه الألعاب أو التقليل من ساعات التسلية بها.

نحن للأسف بطبيعتنا لا نهتم بتربية الأطفال وتوجيههم التوجيه الأمثل فينشأ الطفل لا يدري ما يشغل وقته باللعب المفيد أو بقضاء يوم يتعلم فيه الكثير من المهارات والسلوك الاجتماعي، أما بالنسبة لبرامج الألعاب فمصمموها يزدادون ثراء كبيراً بينما نحن نزداد عنفاً وقسوة وتضعف علاقاتنا الأسرية وتتفكك. الآن الأسرة تشكو من الخلافات والمشاحنات وأحياناً الاشتباكات فنحن أمام مشكلة خطيرة عندما يميل الطفل ميلاً فطرياً نحو ألعاب العنف لأنه يجد نفسه يهزم ويقتل ويدمر ويلغم فيعتاد المشاهد

التي تجعله ينتشي بعيداً عن تكاليفات الأسرة والمدرسة⁽¹⁾.

لذا فإن الأسرة مطالبة بتفعيل دورها وفرض سلطتها والقيام بمسؤوليتها في تجنب الطفل مخاطر الألعاب الإلكترونية ومزالق الاعتياد عليها وتلقي مضامينها التي ترسخ ثقافة العنف في سلوكه وتجعلها في مواجهة حقيقية مع ثقافته الأصيلة، التي تنبع من براءته وطبيعته الطفلية الراضية للعنف.

وأمام هذا الحال يضع الأستاذ أحمد فؤاد بكري بعض المؤشرات أمام الآباء والأمهات والمعنيين ليهتموا بها وينطلقوا منها للحد من المشكلة التي تواجههم إزاء ألعاب الكمبيوتر والإنترنت، فيقول في ذلك: (جهاز الكمبيوتر جهاز متعدد الاستخدامات، فلا بد ألا نترك الأطفال فترات طويلة أما الألعاب دون توجيههم إلى شيء مفيد.. وكذلك عدم جلوس الأطفال أمام الكمبيوتر لفترات طويلة، وإذا كان من الضروري فيجب أن يكون هناك استراحة من آن لآخر، وكذلك متابعة البرامج التي يستخدمها الأطفال ويحاولون تشغيلها على جهاز الكمبيوتر دون أن تُشعر الأطفال بأننا نراقبهم طول الوقت.. كل ذلك لا يغنى عن متابعة الآباء ومحاولة تثقيفهم لأبنائهم الثقافة السليمة، التي تحمى الأبناء من الوقوع في الأخطاء، مما قد يكلفنا الكثير، ولا ننسى أن كثيراً من الآباء ليس لديهم القدر الكافي من المعرفة التكنولوجية، وكيفية التعامل مع الحاسبات والإنترنت.. ولكن لا يوجد سبيل للتقاعس، فلا بد من أن يتعلم الآباء بجد حتى يكتسبوا القدر الكافي الذي يسمح لهم بمتابعة أبنائهم، فلا عيب أن يتعلم الأب من ابنه أو ابنته، ولا الأم من ابنتها وابنها، ولكن العيب كل العيب أن يظل الآباء بلا وعى ولا معرفة بكل جديد، وفي الوقت نفسه نجد الأبناء يتمرسون في تعلم أشياء جديدة كل يوم قد يكون منها ما هو سليم وما هو غير ذلك، لهذا لابد أن يكون الآباء على وعي كامل بكل جديد، حتى يوجهوا أولادهم إلى الطريق السليم للاستفادة من هذا التطور، ومحاولة توجيههم لكي يحققوا لنا الرخاء والتنمية⁽²⁾.

(1) المصدر نفسه

(2) بكري أحمد فؤاد (2007) - سلامة أطفالنا والاستخدام الحاطي للكمبيوتر والانترنت، محبة خطوة، ع (23) المجلس العربي للطفولة والتنمية القاهرة، مصر

وخلاصة لما ناقشناه وبحثناه هنا لابد للمجتمع من أن يضطلع بدوره الفاعل في مجال الحد من العنف وتلاطم ثقافته في الألعاب الإلكترونية، والخطوة الأهم في هذا الاتجاه هو منع دخول ألعاب العنف إلى أطفالنا، وعدم السماح بتداولها في الأسواق والترويج لها في مقاهي الإنترنت أو الكومبيوتر، والاستعاضة عنها بالألعاب الإلكترونية التعليمية المسلية الهادفة والمفيدة، فالطفل بطبيعته يميل إلى ما هو موجود ومؤثر في واقعه من ألعاب، فإن كانت ألعاب عنيفة فإنه يشاهدها أمامه، أو يسمع عنها من أقرانه فيسرع إلى ممارستها، وإن كانت ألعاب تعليمية فالطفل هنا أيضا يسرع إليها.. وفي كل الحالتين يميل الطفل إلى هذه الألعاب، إذاً لماذا لا نكون نحن الموجهين له، ومن يختار له خير الألعاب التي تفيده وتنفعه أكثر من الألعاب التي تضره كالألعاب العنيفة، هذا السؤال أتمنى أن يجيب عنه المسؤولون عن قنوات اللعب والألعاب الإلكترونية، ومن يقوم باستيرادها وترويجها إلى الأطفال.. فإن كانت إجاباتهم إجابة ايجابية ويسعون إلى تفعيل دورهم الإيجابي في جذب الطفل إلى الألعاب التعليمية المسلية الهادفة وإبعادهم عن أي شكل من أشكال ومضامين الألعاب العنيفة، فإن ذلك سيضمن لنا سلامة أطفالنا من ثقافة العنف، أما إذا كانت إجاباتهم سلبية تعبر عن إصرارهم على تقديم الألعاب العنيفة إلى الأطفال بدافع الربح والتجارة فإن الحال سيبقى هكذا على ما هو عليه مهما حاولت الأسرة وسعت إلى تفادي تأثيراته على الأطفال، بل أنه سيتوسع، وسيزداد خطورة، خاصة أن شركات إنتاج وتصميم الألعاب الإلكترونية في سباق متواصل كل يوم لإنتاج المزيد من الألعاب المثيرة والغريبة في عالم الألعاب العنيفة التي تزيد من ثقافة العنف وترسخها في وجدان الطفل.

ثقافة الطفل في العصر الرقمي تحديات تكنولوجيا للأسرة العربية

تعتبر الأسرة داخل البيت محطة التقويم والمراجعة والإعداد الخلقي والاجتماعي والثقافي للطفل، إلى جانب دورها التربوي الأساسي في بناء شخصية الطفل ونموه، من خلال دورها الأساسي في عمليات (التنشئة الاجتماعية والثقافية).. حيث تقع على الأسرة المسؤولية الكبيرة في هذا الاتجاه، بوصفها - أي الأسرة - مفتاح شخصية الطفل، ومناخه الإنساني الذي تتبلور من خلاله عوامله الاجتماعية، ومنظومة تقاليده وأعرافه وأساليبه، وقدراته المتعددة، وفي هذا الاتجاه تقوم الأسرة بفاعلية التعاون مع المدرسة والبيئة في خلق الوحدة الموضوعية للتربية والتنشئة الإيجابية، فتقوم الأسرة هنا بدور الموجه والمرشد لقدرات الطفل وسلوكه باتجاه التعزيز الإيجابي، والضبط الاجتماعي داخل الأسرة، وتهيئته ليلعب دوره في المدرسة والبيئة، والتكيف معهما، لذلك عدت الأسرة بمثابة (المدرسة) المساعدة، التي تؤهل الطفل للمناخ المدرسي، وللمناخ البيئي، وتبني استعداداته التربوية والثقافية والاجتماعية، باتجاه التكيف مع جو المدرسة وعملياتها في التنشئة والتربية والتعليم، والأسرة هنا بما تقوم به من وظائف، إنما هي تقوم بدعم تربية الطفل المنهجية في المدرسة وتعززها، إذ إن محفزات الأسرة تشكل العامل المساعد، بدرجة كبيرة، لبلوغ أهداف المدرسة، وتطوير مؤثراتها وتفعيلها في شخصية الطفل.

* الأسرة ودورها المعرفي في الحياة الاجتماعية والثقافية للطفل

من هنا على الأسرة وهي تقوم بعمليات التنشئة الاجتماعية والثقافية بالتعامل الدقيق مع الطفل، في نقل القيم والأساليب والعادات والمعارف، وتعليمه، في بادئ الأمر، من خلال الحواس المعبرة عن الأفكار وتنمية القدرات خلال نشاطات الطفل كما يذهب (بستالوتزي 1746 H.Pestalotzi 1827) في نظريته التي تبحث في تعلم الطفل، وفي ذلك يرى (بوجوب البدء مع الطفل المبتدئ، بالمدرجات الحسية، والانتقال من المحسوس إلى المجرد، ومن البسيط

إلى المركب، ومن العام إلى الخاص، ومن المجهول إلى المفصل، ومن المعلوم إلى المجهول، وفي ذلك مراعاة لخصائص نمو الطفل الصغير⁽¹⁾.. شيئاً فشيئاً، مرحلة بعد مرحلة حتى ينمو بشكل سليم وتتطور مدركاته، ومراحل العمرية، إذ على الأسرة في هذا الاتجاه، أن تأخذ بهذا المنحى في كل العمليات والأساليب التي تتخذها في آليات (التنشئة الاجتماعية والثقافية)، وما يصاحبها من وسائل ومواد تعليمية وتربوية وترفيهية وثقافية، مناسبة للطفل ومرحلته.. على أن تقوم الأسرة بوعيتها في هذا المجال، وذلك كما يرى (بستالوتزي)، يجعل الملاحظة والإدراك الحسي أساساً في تلك العمليات، لكي يكون التفاعل والتأثير بين الطفل والأسرة والنشاطات التربوية والتعليمية ذات أثر إيجابي، خاصة عندما تكون العلاقة وثيقة بين الطفل والمربي، والتي تبنى أساساً من الحنان والحب، كما يذهب (بستالوتزي) حين يرى (أن المحبة والحنان غذاء أن تبنى عليهما العلاقة بين المربي والمربي⁽²⁾).. وهذه العلاقة هي الأساس المتين في بناء القاعدة العلمية للتنشئة الناجحة، بأوجهها الاجتماعية والثقافية، إذ إن الأسرة، بكل ما تحمله من مقومات، ومناخات، وعوامل، ووسائل، وبرامج، ومحفزات، تعتبر المكان الأول والطبيعي الذي يلقي الطفل في ثنايا تعليمه الأساسي وتربيته الأولى، وهذا ما تؤكدته الكثير من الدراسات والأبحاث العلمية والتجارب المختلفة للناس في طبقات المجتمع على اختلاف أجناسها وتنوعها وثقافتها، فقد دلت هذه الدراسات (على أن التنشئة الاجتماعية والثقافية داخل الأسرة، لها أثر كبير في تشكيل شخصية الطفل، ويكاد هذا الأثر لا يوازيه أثر أي مؤسسة أخرى، خاصة في مرحلة ما قبل المدرسة)⁽³⁾.

وبتغير الحياة الاجتماعية وأوجهها المختلفة في المجتمعات المتعددة بصورة عامة، ووظائف الأسرة المعاصرة بصورة خاصة جراء التطور الحضاري والثقافي والتقدم التكنولوجي الكبير في كافة المجالات الصناعية والتقنية (جعل الأسرة

(1) مسن، بول، حور كونجر، حيروم كاجان، بمساعدة ديانا سني (1986)، أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة - مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى ترجمة :- أحمد عبد العزيز سلامة.

(2) المرجع نفسه ص 405، 406.

(3) جريدة الزمان (2003) خبراء أدب الأطفال وتشجيع القراءة، بغداد، العدد (1681).

المعاصرة لا تستطيع بمفردها تنشئة الطفل وتربيته فردياً واجتماعياً⁽¹⁾.. فتوجه الاتجاه إلى إيجاد العوامل الأخرى المساعدة للأسرة في التنشئة وأساليب توسيعها على نطاق واسع في المحيط الاجتماعي من الأسرة إلى المؤسسات التربوية والتعليمية الأخرى.. وهنا يشير (سملسر) في قوله: مهما تكن درجة تركيز العلاقات بين الأم والطفل في السنوات المبكرة الأولى، فإن هذه الفترة قصيرة الأمد، ويتطلب المجتمع الحضري الصناعي المتقدم مهارات تقنية أعقد من أن توفرها له الأسرة، ومن ثم فإن الأسرة تتجه إلى التنازل عن كثير من وظائفها التدريبية إلى الأنساق التربوية الرسمية، فالأسرة النووية تفقد ضبطها لأطفالها في سن مبكرة جداً وتسلمهم للمدرسة الابتدائية، بل حتى لمدرسة الحضانة⁽²⁾. مما جعل الاهتمام يكبر ويتوسع بنواحي تعليم وتربية الأطفال، خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة، ليصبح ضرورة لازمة.. خاصة (في مؤسسات تربوية وتعليمية ذات نوعية متحسنة من الرعاية والاهتمام تعاضد الأسرة وتتكامل معها، وخاصة عندما يصبح عمر الطفل أربع سنوات ويبدأ في الحركة والانطلاق، ويقل اعتماده على الأسرة)⁽³⁾.. أي أن قلة اعتماده على الأسرة لا يعني توقف مسؤولية الأسرة، وانتهاء واجباتها الأساسية تجاه طفلها في هذه المرحلة.. بل هي تعني التحول في المسؤولية والواجبات، من مسؤولية إلى أخرى، ومن واجبات إلى واجبات أكثر أهمية، وذلك بوضع الطفل في ميزان المقارنة والملاحظة والمراقبة التربوية والسلوكية والثقافية، بين ما تلقاه في البيت وبين ما يتلقاه في المدرسة وتناسب ذلك وانعكاسه على تطور الطفل، ومجمل نشاطاته المتعددة التي يفترض بها أن تكون أكثر سعة وتطوراً بعد هذا التحول المهم في حياة الطفل، والذي أصبح خاضعاً لأسلوب جديد في عمليات تربيته وتنشئته الاجتماعية والثقافية، هو أسلوب (المؤسسة التربوية الرسمية) وهو أسلوب مضاف إلى أسلوب الأسرة، وهنا تكبر مسؤولية الأسرة وتصبح أمام واجبات مضافة عليها أن تضطلع بها بدرجة عالية من الوعي والتفهم.

(1) المصدر نفسه.

(2) الكعبي، فاضل (2004) تفاعلات الطفل العلمية بين المدرسة والثقافة، مجلة القمم، العدد (6) الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق

(3) المصدر نفسه.

* وعي الأسرة وأثره في الطفل

كلما كانت الأسرة في البيت، على درجة عالية من الوعي والثقافة والدقة العلمية، كلما كان منشأ الطفل صحيحاً، ويصبح مهياً للنمو السليم في مستوياته المختلفة، فالأب المتعلم ينعكس تعليمه هذا على طفله، كذلك الأب الجاهل بطبيعته يعكس جهله على طفله دون وعي منه، والأب المتعلم يعين الطفل على واجباته المنزلية، ويتابع شؤونه الدراسية، ويعمل على تقويمه، وحل مشاكله ومساعدته في تنظيم وقته بين الدراسة واللعب، وتقوية مهاراته، وتشجيعه على تطوير قابلياته ومواهبه، ومتابعة سير الطفل مع أقرانه سواء في المدرسة، أو في محيط البيئة التي يعيش فيها، وكل هذه العوامل تساعد الطفل على التحصيل العلمي والثقافي والمعرفي، الذي ينمي شخصيته، وتجعله ينمو بشكل ايجابي، يشجعه على التواصل الدراسي، وكسب المعارف والقيم، والمؤثرات الثقافية، كونه وجد الدعم الكافي، والتشجيع المطلوب، من أسرته التي تعمل على توفير احتياجاته وإشباع رغباته بالشكل الصحيح.

أما الأب الجاهل فهو لا يستطيع أن يمنح الطفل قدراً من الاهتمام والرعاية العلمية، كونه فاقداً لهذه الخاصية، ولا يتمتع بقدر كاف من الوعي والثقافة التي تؤهله على دعم النشاط المدرسي لطفله، إضافة إلى جهله لأبسط أصول الرعاية العلمية، ويحاول أن يعكس ثقافته السطحية، المبنية على التقاليد البالية، والأفكار المحدودة، والعادات المتأخرة على شخصية الطفل، مما يجعله ينشأ نشأة مضطربة، تؤثر تأثيراً واضحاً على نموه الدراسي، وعلى تحصيله العلمي، وعلى قدراته النفسية والثقافية والاجتماعية، وربما يقوده ذلك إلى الشعور بالنقص، والانطوائية، وعدم التكافؤ بينه وبين أقرانه داخل المدرسة وفي البيئة.

وهذه المؤثرات تدفعه أحياناً إلى عدم الثقة بالنفس، وإلى الضعف في المستوى الدراسي، وإلى النفور من المدرسة، ومن قيمها التربوية والثقافية، وبالتالي قد تكون هذه المؤثرات، عوامل مساعدة للهروب من المدرسة

والبحث عن مكان آخر يحقق به ذاته المضطربة، ويجد فيه رفاق على شاكلته، وفي نفس مستواه، حيث لا يجد من بين هؤلاء الرفاق من هو يتباهى بأبيه الذي سهر على رعايته، وشاركه في كل الأوقات على حل الكثير من المعضلات التي تواجهه، ودعّمه بكل إمكانياته، وثقافته، حتى أوصله إلى المستوى المتقدم في الدراسة، كذلك لا يجد هناك، من يلومه على ضعف إمكانياته، ومستواه، ومن يوبخه، ويذكره بكسله في دروسه، مثلما يجده لدى رفقاء المدرسة من الأقران، الذين لا يجدون من خجل في توبيخ الكسول والخامل، وإظهار عيوبه، والاستهزاء به مراراً أمام الآخرين.

* الأسرة وإشباع حاجات الطفل الثقافية

إن ظهور مثل هذا المستوى بين الأطفال في المدرسة، تقف خلفه أسباب عديدة، لعل أبرزها في الغالب، طبيعة النشأة التي نشأ عليها الطفل داخل الأسرة، التي أدت به إلى الضعف في المستوى الدراسي، وتدني في مستوى أداء الشخصية وضعفها، نتيجة شعوره بالإهمال، وعدم رعايته وتوفير احتياجاته وإشباع رغباته، ورفض الاستجابة له في المطالبة ببعض الاحتياجات والمستلزمات والتجهيزات المدرسية، والألعاب وغيرها، بحجج عدم المقدرة المادية، لضعف دخل الأسرة، إضافة إلى عدم إعانتته على حل مشاكله المدرسية وغير ذلك.

كل هذا قد شكّل عوامل انتكاس في الشخصية، وفي القدرات، انعكس على قدرته النفسية، مما يؤدي أحياناً إلى ظهور العديد من الظواهر والحالات الاجتماعية والنفسية السلبية، مثل الخجل المفرط، والخوف، والانعزالية، والميل نحو الانطوائية، والذي يدفعه إلى البحث عن البديل المادي، والمعنوي، والثقافي، والاجتماعي، الذي يعوّضه عن كل ذلك، والبديل عادة في القيم المعاكسة لقيم المدرسة، ومنها وصوله إلى حالة الحقد على نفسه أولاً، ثم الحقد على الآخرين ثانياً، وهذا ما يدفعه إلى السلوك الجانح .

إن هذه الحالة من الحالات الحساسة، والمعقدة، التي نبهت عنها إدارات المدارس، والعلماء، حين شخصوها مراراً ووضعوا لها المعالجات الجذرية،

والتي أدت بعضها إلى نتائج جيدة ، إلا أن الحل الأسلم يبقى بيد الأسرة، وحرصها على متابعة طفلها، ومراقبته، والإشراف على وضعه الدراسي، وغير ذلك من مشاكل الطفل وقضاياها المختلفة، والتي يقع التغلب على بعضها في إشباع حاجات الطفل بشكل كامل، كون هذه الحاجات تشكل أساس نمو الطفل، وإغناء قدراته المعنوية والمادية.

إن إشباع حاجات الطفل من مسؤولية الأسرة بشكل أساسي، وإشباع هذه الحاجات من شأنه أن يوفر للطفل جو الأمن والاستقرار، وإثراء معارفه و قدراته في مختلف جوانبها ومن شأنه أيضاً إغناء شخصية الطفل، وجعله في مستويات متقدمة من التكيف الاجتماعي، وبالتالي ينعكس هذا الجانب على قدراته واستعداداته في تقبل القيم والطباع والمناهج والعناصر والأساليب التربوية والتعليمية والثقافية، التي تقدمها له التنشئة الأسرية والمدرسية وغيرهما من المؤسسات التي تعنى بتربيته وثقافته.

من هنا نعي دور الأسرة وأهميته في إنعاش قدرات الطفل، وتقوية بنيته التربوية والثقافية، وتعزيز جوانبه الفكرية والوجدانية، بما يدفعه إلى تقوية شخصيته وتكاملها، وكذلك دفع ميوله القرائية والاستكشافية إلى النمو الدائم والتطور المتواصل.. فالأسرة التي تدعم قدرات الطفل، وتشبع حاجاته الأساسية بالقدر المعقول، وتنمي مواهبه وخيالاته واتجاهاته المعرفية، تسهم إسهامة كبيرة في نشأته، نشأة ثقافية، واجتماعية، وتربوية، ونفسية متقدمة تنعكس بشكل إيجابي على ثقافة الطفل، وقدراته الثقافية.

إن إشباع حاجات الطفل من قبل الأسرة، يتطلب وعياً ودقة بهذه الحاجات، وأساسياتها، ومدى أهميتها للطفل، إذ يعد مفهوم الحاجات مفهوماً شاملاً يتوزع في عدة اتجاهات وأساليب وقنوات، ليشمل الحاجات المادية والمعنوية، ففي الجانب المادي هناك حاجات أساسية تدخل في (الملبس، والسكن، والطعام، والصحة، والراحة، والترفيه، والتسلية، والتعليم، الخ) أما الحاجات الأخرى ضمن الإطار المادي، فهي تلك الحاجات الثقافية والاجتماعية والتربوية،

التي تدخل في خصائصها (الألعاب، والكتب، ووسائل الإيضاح، ووسائل الاتصال، الخ) .. أما الحاجات الأخرى ضمن الإطار المعنوي فهي عديدة ومتنوعة لعل من أهمها، حاجات (الحب، والحنان، والرعاية، والاهتمام، والمتابعة، والتشجيع، وتنمية المواهب، والابتكارات، والحث على التطور وغيرها). إن الأسرة التي تعي هذه الحاجات وتجعلها ضمن اهتماماتها في عمليات التنشئة الاجتماعية والثقافية، ستعمل على تحسين نوعية هذه التنشئة ودفعها إلى التقدم بالاتجاه الذي يجعل الطفل ينمو ويتطور بشكل سليم في كافة نواحيه الاجتماعية والثقافية والنفسية والعقلية والصحية .. أما الأسرة التي تتجاهل هذه الحاجات أو تتجاهل قسمًا منها، فإنها تترك أثرًا سلبيًا في شخصية الطفل وفي قدراته واستعداداته، سرعان ما ينعكس على نموه العام في الاتجاهات المختلفة، وهذا يتضح من خلال دراستنا لحالة الأسر ومستوياتها في العيش، وما يتضح من فروق في القدرات والمستويات والاستعدادات بين أطفال الأسر الغنية وأطفال الأسر الفقيرة، وقد أرجع العلماء في دراساتهم، أسباب ذلك في جانب كبير منه إلى عدم إشباع حاجات الطفل، من قبل الأسر الفقيرة، وذلك لضعف مستواهم المادي، وعدم قدرتهم على الاستجابة لكثير من الحاجات الأساسية لأطفالهم، فينعكس ذلك على مستواهم الدراسي، واستعداداتهم العقلية والنفسية وقدراتهم الثقافية والإدراكية، وعلى العديد من جوانبهم الاجتماعية، التي تخلّ في عمليات التنشئة الاجتماعية، وتضعف مؤثراتها في العديد من الأسر التي تعاني من الفاقة والعوز المادي.. لذلك فإن إشباع حاجات الطفل المختلفة، يعد من الجوانب الجوهرية والأساسية التي تدخل في العمليات الصحيحة للتنشئة الاجتماعية والثقافية المتوافقة مع الطفل ومستوى نموه ونضجه.

* الأسرة وتنمية القدرات الثقافية للطفل

تضطلع الأسرة بدور واضح، إلى جانب المؤسسات الثقافية والاجتماعية والتربوية والتعليمية والترفيهية، في تنمية القدرات الثقافية للطفل، وتعريفه

بعناصر ثقافة الأطفال وأساليبها ووسائلها، خاصة الأسر الواعية بأهمية الثقافة ودورها في تحسين الوعي والفكر والسلوك والمستويات الاجتماعية والتربوية والتعليمية.

من هنا تقوم العديد من الأسر باستغلال كافة الوسائل والعناصر والإمكانيات الثقافية واستخدامها لدعم وسائلها وعملياتها وأساليبها في تنشئة الطفل اجتماعياً وثقافياً، وعدم الاكتفاء بأساليبها التقليدية في هذه العمليات، إلى جانب أساليب المدرسة، فتجد الطفل في هذه الأسر أكثر فهماً، واتصالاً، والتصاقاً بعناصر ثقافته، وأكثر استعداداً للتطبيع الثقافي الذي تريده مؤثرات الثقافة في مكونات هذا الطفل ومرحلته العمرية، ويصبح هذا الطفل أكثر وعياً وفهماً لهويته الثقافية، وله القدرة على التمييز بين القيم والعناصر التي تختص بثقافة المجتمع، ومثلها التي تختص بثقافة الأطفال، بحيث يشعر بذلك بسرعة، تبعاً لحواسه وذوقه الجمالي وقدرته الحسية والعقلية والفكرية التي تندفع إلى ما هو منسجم مع مرحلته والنفور من كل ما هو يفوقها ويشكل في بعض حالاته، عائناً أمام نمو الطفولة وطبيعتها التربوية والاجتماعية والثقافية، أو يشكل خلافاً في قيمها وعاداتها ونظمها وسلوكياتها التي تختص بها من بين فئات الأفراد الأخرى.

وهذا الحال هو الذي تعمل على إدراكه وتحقيقه مؤثرات وعناصر ثقافة الأطفال، والأسرة هنا تشكل عاملاً مؤثراً فيه، من خلال دورها في خلق (الطفل المثقف) والواعي لثقافته، والمتلقي الجيد لعناصرها وأساليبها، عبر مسؤوليتها ووعيها بتوفير وإشباع حاجات الطفل الثقافية، والاهتمام الكامل بإطار ثقافة الأطفال في مناخ الأسرة، من خلال توفير وسائل الثقافة من كتب، ومجلات وألعاب ووسائل اتصالية وتعليمية وغير ذلك من الوسائل الثقافية التي تدخل في إطار ثقافة الأطفال، على أن يتم اختبار هذه الوسائل حسب عمر الطفل وميوله، ليكون التوافق والتأثير كاملاً وإيجابياً بين الطفل وثقافته.

وبهذا تكون الأسرة قد أمنت للطفل (حاجاته الثقافية)، وأعطته (حقوقه الثقافية) وحققت له (هويته الثقافية)، ومن ثم جعلت الطفل في موقعه الثقافي الصحيح، وهي بكل ذلك ساهمت مساهمة فعّالة بدعم ثقافة الأطفال في جو الأسرة، وفي مناخ المحيط الاجتماعي الذي تدور الأسرة في فلكه، فتأتي المدرسة لتكمل دور الأسرة في هذا الاتجاه.

سيرة ذاتية

فاضل الكعبي - ولد في بغداد عام 1955 وبدأ الكتابة في مطلع السبعينيات.
كاتب وشاعر وناقد وأديب وباحث متخصص في أدب ومسرح وثقافة
الأطفال .

تجاوزت خبرته الأربعين عاماً في الكتابة للأطفال وعن الأطفال إبداعاً في
الشعر والقصة والمسرحية والحكاية وتنظيراً في الدراسات والبحوث المتخصصة
في أدب ومسرح وثقافة الأطفال بشكل عام.

يعد من أبرز الباحثين والشعراء والكتاب والأدباء الذين يكتبون الآن
للأطفال وعن الأطفال في العراق، ومعروف على مستوى الوطن العربي.
تعد كتبه ودراساته المتخصصة في أدب ومسرح وثقافة الأطفال من المراجع
المهمة والأساسية لعشرات الدراسات والأبحاث العلمية والفكرية والأكاديمية
المحلية والعربية في هذا المجال.

منح درجة باحث دولي متخصص بامتياز من المعهد العربي الأوروبي في
فرنسا تقديراً لإبداعه الدولي في مجالات الكتابة للأطفال وعنهم.
دكتوراه في أدب الأطفال من أكاديمية كامبردج للعلوم والتكنولوجيا بتقدير
امتياز عام بمرتبة الشرف.

دكتوراه في التراث والثقافة الإسلامية بتقدير ممتاز عن رسالته الموسومة
(أسس وأساليب الكتابة العلمية في أدب الأطفال) من معهد الدراسات
الإسلامية في الجزائر.

دكتوراه فخرية من المعهد الثقافي الألماني الدولي منحت له تقديراً رفيع
المستوى لدوره الإبداعي وجهده المبذول في نشر روح التسامح والعدالة
والقيم الإنسانية والثقافية والعلمية في كتاباته للأطفال.

دكتوراه فخرية في ثقافة الأطفال بدرجة الشرف والامتياز من المعهد الثقافي الألماني الدولي.

وظيفياً متفرغ الآن للكتابة والبحث والإبداع بشكل كامل.

عمل في العديد من المؤسسات والمنظمات الثقافية والإعلامية والأدبية والفنية المعنية بقضايا الأطفال والإبداع المختلفة، وخاصة منها منظمات الطفولة غير الحكومية من أبرزها: عضو مؤسس ثم رئيس رابطة أدب الأطفال في العراق منذ تأسيسها عام 1993 حتى عام 2000 .

عضو مؤسس للجمعية العراقية لدعم الطفولة منذ تأسيسها عام 1992، وتسلم فيها عدة مناصب منها: عضو الهيئة الإدارية، عضو الهيئة الاستشارية، رئيس لجنة التربية والثقافة، وآخرها أمين سر الجمعية حتى عام 2002.

اختير عضواً في العديد من اللجان التحكيمية والعلمية لعديد من المهرجانات والمسابقات الخاصة بأدب وثقافة الأطفال.

اختير عضواً في اللجنة التحكيمية لمهرجان مسرح الطفل لدورات عديدة.

عضو أول لجنة لمسرح الأطفال في دائرة السينما والمسرح منذ تشكيلها عام 1994.

مستشار التحرير لمجلة الطفولة منذ إصدارها أول مرة عام 1993 حتى عام 1996.

عضو اللجنة العلمية لكتابة المنهاج التعليمي واللجنة الاستشارية لمشروع 1000 كاتب مسرحي للأطفال.

نائب رئيس تحرير مجلة الطفولة وممارس مهام رئيس التحرير من عام 1996 حتى عام 2003.

عمل رئيس تحرير مجلة الأطفال (أطفال المستقبل) حتى توقفها عام 2011 .

اختير خبيراً ومستشاراً لثقافة الأطفال في عدة مؤسسات ومنظمات مدنية،
منها مستشار ثقافة الأطفال في منظمة تنظيم الأسرة من عام 1995 حتى
عام 2000 .

عمل بصفة خبير ومستشار لعدد من صفحات ومطبوعات وكتب الأطفال.
مستشار وخبير الثقافة العلمية وثقافة الأطفال في مؤسسة العراق للإعلام
والثقافة العلمية.

مسؤول نادي أدب الأطفال في الإتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق من
عام 1998 حتى عام 2001.

كتب وأعدّ العديد من برامج ومسلسلات الأطفال في الإذاعة والتلفزيون
منذ السبعينيات حتى التسعينيات، كما كتب عشرات الأغاني والأناشيد
التربوية والتعليمية للأطفال، ومنها ما دخل في المناهج الدراسية لرياض
ومدارس الأطفال المختلفة.

نشر إبداعه الأدبي من شعر وقصة وحكاية ومسرحية في أغلب مجلات
الأطفال المعروفة في الوطن العربي.

ترجمت له العديد من الأعمال الأدبية والعلمية إلى العديد من اللغات
الأجنبية.

أقام العديد من ورش العمل في آليات الكتابة وفنونها في أدب ومسرح الأطفال.
كتب ونشر عشرات الدراسات والبحوث والمقالات في مجالات أدب ومسرح
وثقافة الأطفال في العديد من المجلات المحكّمة والعلمية والثقافية والفكرية،
العربية والمحلية والعالمية.

بدأ اهتمامه في مسرح الأطفال منذ أكثر من خمسة وثلاثين سنة فكتب
ونشر له العديد من المسرحيات الشعرية والنثرية، وكتب في هذا المجال
عشرات الدراسات والبحوث والمقالات، والتي نشرها في العديد من المجلات
والدوريات العربية والمحلية.

مثلت له على خشبة المسرح العديد من المسرحيات الشعرية والنثرية المتنوعة التي كتبها لمسرح الأطفال بشكل خاص، ونال العديد منها جوائز متقدمة.

تناولت أعماله وإبداعاته الأدبية والعلمية والفكرية العديد من الرسائل والأطاريح الجامعية في الماجستير والدكتوراه، وكتب عن إبداعاته وكتاباته الفكرية والعلمية العديد من الكتاب والنقاد والدارسين والباحثين العرب. أسهم بإعانة وإرشاد العديد من طلبة وطالبات الدراسات العليا في الماجستير والدكتوراه الخاصة في مختلف المجالات التخصصية في أدب ومسرح وثقافة الأطفال.

شارك في العديد من المؤتمرات والندوات والمهرجانات والملتقيات العربية والمحلية الخاصة بقضايا الكتابة والإبداع وقضايا الأطفال العلمية والثقافية والأدبية والفنية المختلفة.

ورد اسمه ونتاجه الإبداعي والفكري في العديد من المعاجم العربية، من أبرزها: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، الطبعة الأولى، ومعجم شعراء الطفولة في الوطن العربي، ومعجم أدباء الأطفال العرب، وموسوعة أعلام العراق، ومعجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، وغيرها.

حصل على العديد من الجوائز والشهادات التقديرية في مجال حقوق الطفل، ومسرح الطفل، وفي مجالات أدب وثقافة الأطفال، وتم تكريمه خلال مهرجان مسرح الطفل الثاني عام 2005 بدرع المهرجان مع شهادة تقديرية كواحد من رواد مسرح الأطفال في العراق.

كما تم تكريمه من قبل بيت الحكمة عام 2009 خلال ندوة تكريمية للباحثين المتخصصين في بحوث الطفولة، ومن بين أبرز الجوائز التي نالها هي:

جائزة شعر الأطفال من هيئة رعاية الطفولة عام 1994.

جائزة مهرجان أغنية الطفل في الأردن عام 1999.

الجائزة الأولى في شعر الأطفال من دائرة ثقافة الأطفال عام 2009.

الجائزة الأولى في شعر الأطفال من وزارة الثقافة عام 2010.

جائزة أفضل كاتب لمسرح الأطفال لعام 2010 خلال استفتاء مجلة ومؤسسة عيون للثقافة والفنون.

جائزة عبد الحميد شومان لأدب الأطفال عام 2010 في مجال الدراسات النقدية.

الجائزة الأولى في شعر الأطفال لمرحلة الروضة في المسابقة المشتركة لوزارة التربية ومشروع النجف عاصمة الثقافة الإسلامية لعام 2011.

جائزة أفضل كاتب في أدب وثقافة الأطفال لعام 2011 خلال استفتاء مجلة ومؤسسة عيون للثقافة والفنون.

جائزة عيون للإبداع في أدب وثقافة الأطفال لعام 2014.

جائزة تازة العالمية في المغرب للإبداع في الكتابة المسرحية الثانية للأطفال عام 2015.

صدرت له عدة كتب في الدراسات الخاصة بأدب ومسرح وثقافة الأطفال من أبرزها:

المدخل التربوية ومرتكزات التجانس المعرفي في ثقافة الأطفال - الطبعة الأولى بغداد 1999 ، الطبعة الثانية دمشق 2013.

العلم والخيال في أدب الأطفال - الطبعة الأولى بغداد 2001 - الطبعة الثانية دمشق ، سوريا 2016.

مسرح الملائكة - دراسة في الأبعاد الدلالية والتقنية لمسرح الأطفال - الطبعة الأولى الشارقة، الإمارات 2009، الطبعة الثانية القاهرة ، مصر 2018 .

الكيان الثقافي للطفل: مقالات وشهادات وحوارات في ثقافة الأطفال،

- الطبعة الأولى بيروت، لبنان 2010 - الطبعة الثانية دمشق ، سوريا 2016.
- كيف نقرأ أدب الأطفال - دراسة ونصوص شعرية وقصصية ومسرحية -
الطبعة الأولى عمان ، الأردن 2012.
- تكنولوجيا الثقافة: دراسة في الأسس العلمية لثقافة الأطفال، الطبعة الأولى
الشارقة، الإمارات 2011، الطبعة الثانية القاهرة، مصر 2018 .
- الطفل بين التربية والثقافة : دراسات تربوية في ثقافة الأطفال، الطبعة
الأولى بيروت، لبنان 2011، الطبعة الثانية القاهرة 2018.
- أدب الأطفال في المعايير النقدية : دراسة في الأسس والقواعد الفنية والنقدية
لفن الكتابة للأطفال ، الطبعة الأولى الشارقة ، الإمارات 2013.
- دراما الطفل: دراسة مسرحية، فنية، نقدية، تاريخية لتجربة مسرح الأطفال
في العراق - النشأة والتطور 1970 - 2010، الطبعة الأولى بغداد، عمان 2014،
وهو أول كتاب شامل عن مسرح الأطفال في المسرح العراقي.
- الثقافة والإنسان من البدائية إلى التكنولوجيا: دراسة في البناء الثقافي
للإنسان، عمان ، الشارقة ، الخبر 2015.
- الإبداع وأثره في ثقافة الطفل - دراسة ، عمان ، الشارقة ، الخبر 2012 .
- الطفل والهوية الثقافية - دراسة، عمان، الشارقة ، الخبر 2015.
- دور الصحافة والإعلام في بناء الطفل - دراسات في قضايا الإعلام الموجه
للأطفال . عمان ، الطبعة الأولى 2016.
- اللعب وأثره في ثقافة الطفل - دراسة علمية ، الطبعة الأولى تونس 2017.
- الثقافة العلمية في أدب الأطفال - دراسات وأبحاث ، دمشق ، سوريا 2017.
- أدب الأطفال بين الظاهر والمسكوت عنه - آراء وأفكار وشهادات في راهن
أدب الطفل العربي ، الإمارات العربية المتحدة ، 2017.
- الطفل والمدينة: نحو إستراتيجية مستقبلية للتنمية البشرية والعمرانية -

دراسة طموحة للنهوض بدور المدينة العربية في رعاية الطفولة، الإمارات العربية المتحدة ، 2017.

الحقيقة الموضوعية لثقافة الأطفال : دراسات ومقالات ، نشر إلكتروني، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ، الإمارات 2018.

الطفل والقراءة: أفكار علمية وعملية من أجل طفل قاريء، دراسة، نشر إلكتروني، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة الإمارات 2019.

له كتب علمية وفكرية أخرى في الدراسات والبحوث تحت الإصدار أبرزها:

سيكولوجية أدب الأطفال - دراسة تاريخية نفسية اجتماعية.

خلاصة المقال في أدب الأطفال - دراسة علمية.

ثقافة الأطفال في العصر الرقمي - دراسات وأبحاث.

قراءات نقدية في أدب الأطفال العربي - دراسات نقدية.

ومن أبرز إنتاجه الأدبي المطبوع للأطفال:

جنة عصفور - شعر للأطفال - بيروت 1982.

الشجرة التي ابتسمت - قصص للأطفال - بيروت 1982 .

أجنحة الفراشات - شعر للأطفال - بغداد - 1993 .

قصائد تحلق بالطفولة - شعر للأطفال - عمان - 1994 .

أغنية القطار - شعر للأطفال - بغداد - 1995.

هيا نتعلم ونغني - شعر للأطفال - بغداد - 1997.

أشياء الجميلة - شعر للأطفال - تونس - 1998.

أجمل ما رأيت - حكايات شعرية للأطفال - تونس 1998.

ما حدث للسنجاب في ليل الغاب - مسرحية شعرية للأطفال - بغداد 2005.

- أرجوحتي قوس قزح، شعر للأطفال _ بغداد 2010.
- مشروع الثعلب والدجاجة- قصص للأطفال _ بغداد 2010.
- السنباب واحتفال الغابة- مسرحيات للأطفال . دمشق 2011.
- عذاب بائع الألعاب - مسرحية للأطفال _ بغداد 2011.
- حكاية الحروف - حكاية شعرية للأطفال - بيروت، لبنان 2012 .
- حكاية الأصوات - حكاية شعرية للأطفال - بيروت، لبنان 2012
- رسالة من حديقة الحيوان - حكايات شعرية للأطفال - بيروت ، لبنان 2012 .
- حكاية القط والفار - حكايات شعرية للأطفال - بيروت ، لبنان 2012
- فخري والمصباح السحري - مسرحيات تعليمية للأطفال، عمان، الأردن 2014.
- أعياد لأناشيد الأولاد - شعر للأطفال، بغداد 2013 .
- حسن والأميرة بان - مسرحيات تعليمية للأطفال، الطبعة الأولى الشارقة. الإمارات 2014، الطبعة الثانية القاهرة ، مصر 2018.
- أبي صياد الأسماك - قصة للأطفال . الشارقة، الإمارات 2014.
- أمي وحكايات أخرى - حكايات شعرية للأطفال - دبي، الإمارات، الطبعة الأولى 2015، الطبعة الثانية 2016.
- هنا يغرد الجميع - حكايات شعرية للأطفال دبي، الإمارات 2015.
- أرسم .. ألعب - حكاية شعرية للأطفال الطبعة الأولى بيروت ، لبنان 2016، الطبعة الثانية بيروت، لبنان 2017 .
- مفتاح جدتي - قصة، تونس 2016 .
- ماما .. بابا لِمَ لا نعيشُ في بيت واحد؟ - قصة، الشارقة، الإمارات 2016

- عندي ما عندك - حكاية شعرية للأطفال - رام الله، فلسطين 2017 .
- حسان ودنانير الإحسان - قصة ، بيروت 2017 .
- صباح الخير يا غسل - شعر للأطفال، تونس 2017.
- أهلاً فصولي الأربعة - حكاية شعرية للأطفال، عمان، الأردن 2017.
- هديتي الأجل - قصة ، بيروت، لبنان 2016 .
- دلو الماء البارد - قصة، بيروت، لبنان 2016 .
- حمدان في ليلة الإحسان - قصة ، بيروت ، لبنان 2016 .
- شجرة التفاح والغيمة البيضاء - قصة ، بيروت ، لبنان 2016 .
- قطعة فاطمة - قصة، بيروت ، لبنان 2016 .
- تعالوا .. هذه مكتبة الجميع - قصة، بيروت، لبنان 2016.
- النملة مُمولة والطائر الغريب - قصة ، بيروت ، لبنان 2016 .
- جمعية النظافة المدرسية - قصة ، بيروت ، لبنان 201 .
- كائنات من غيوم - قصة ، بيروت ، لبنان 2017.
- هناك وقت آخر للعب يا صديقي - قصة ، بيروت ، لبنان 2017.
- النملة والطائر الغريب - قصة ، بيروت ، لبنان 2017 .
- الأسد يحكم بالعدل - قصة ، بيروت ، لبنان 2017 .
- نحلة صغيرة في مهمة كبيرة - قصة ، بيروت ، لبنان 2017.
- الراعي حمدان والتاجر حيران - قصة للفتيان اليافعين، بيروت، لبنان 2017 .
- أزرق .. أزرق - حكاية شعرية، بيروت ، لبنان 2017 .
- تفاحة زينب - قصة ، بيروت، لبنان 2017.
- عودة الكناري من البراري - قصة، بيروت ، لبنان 2017.

عيد وأناشيد - شعر للأطفال، الشارقة، الإمارات 2017.
من حكايات لباب في معرض الكتاب - قصص قصيرة للأطفال، الشارقة، الإمارات
2017.

- مواء وعواء - حكاية شعرية للأطفال، بيروت ، لبنان 2018.
غناء الديك - حكاية شعرية للأطفال، بيروت ، لبنان 2018.
حلوى أمي - حكاية شعرية للأطفال، بيروت ، لبنان 2018.
الوسادة ميادة تصل إلى السعادة - قصة، بيروت ، لبنان 2018.
القمر يشرب الماء - ثلاثون قصة وقصة للأطفال ، بيروت ، لبنان 2018.
ابتهالات لنور النور - شعر للأطفال ، عمان ، الأردن 2018.
كلماتي للآتي - شعر للأطفال، بغداد ، العراق 2018.
هذا ما حدث في الغابة السعيدة - مسرحية شعرية للأطفال ، بغداد 2018.
أبي أمي .. توقفا - قصة، بيروت ، لبنان 2018 .
وعد جدّي - قصة ، بيروت، لبنان 2018.
الثعلب في مزرعة الأرنب - مسرحيات للأطفال، القاهرة، مصر 2018.
جدي زغير في باص المصلحة - قصص للناشئة اليافعين، عمان، الأردن 2019.
الببغاء واللصوص - قصة ، بيروت، لبنان 2019 .
النجار ومساميره الجديدة - قصة، بيروت، لبنان 2019 .
مشروع الثعلب والدجاجة - قصة، بيروت، لبنان 2019 .
أنا في مدينة السعادة - قصة ، دبي، الإمارات العربية المتحدة 2019.
له غير ذلك كتب أخرى تحت الإصدار.

الفهرس

| | |
|--|----|
| إهداء..... | 5 |
| المقدمة..... | 7 |
| التطور الثقافي وآلياته الاجتماعية في مجتمع المعلوماتية..... | 11 |
| ثقافة الأطفال دلالات الهوية وجدل الحفاظ عليها..... | 33 |
| ثقافة الأطفال الأثر التربوي والتعليمي..... | 45 |
| إشكالية الهوية الثقافية أسئلة في الراهن التكنولوجي..... | 55 |
| الطفل واللعب ثقافة العنف الإلكتروني..... | 67 |
| ثقافة الطفل في العصر الرقمي تحديات تكنولوجية للأسرة العربية..... | 81 |

عزيزي القارئ، أمامك صفحة فارغة، نتمنى أن نقيم فيها العمل الذي بين يديك،
وأن ترسله لنا على الإيميل الخاص بنا.

elsaidpublisher@gmail.com

أفضل تقييم والأكثر مشاركة، سوف يحصل معنا على الكثير من الهدايا القيمة من اصدارتنا الأخرى، كما أننا سنجري سحب على المشاركات، لكسب كوبونات خصم متميزة في معارضنا ننتظر ارائكم الثرية.

[illegible]

ثقافة الأطفال في العصر الرقمي

رؤي وتحديات

اهتمت المجتمعات الإنسانية المتقدمة بالطفل وثقافته اهتماماً استراتيجياً ملحوظاً ، وعدت الطفل وثقافته الأساس العلمي القويم لنهضة الإنسان ، والمرتكز الأهم لمجمل المنطلقات الفكرية و الإنسانية والعلمية التي ينطلق منها هذا المجتمع في نهضته ، وفي خططه وبرامجه في التنمية البشرية والتجديد والتطور الحضاري ، فكيف سيكون هذا التجديد وهذا التطور ونحن الآن نعيش العصر الرقمي ، هذا العصر العجيب ، والخطير والمتسارع في تحولاته ، وفي نتائج ما أتى به من منتجات ومخترعات فاق الكثير منها حد التصور والعقل ، وتجاوز حدود الواقع ، بعد أن خلّفت في هذا الواقع العديد من المخلفات والمنعكسات السلبية منها والإيجابية على الإنسان وثقافته بشكل عام ، وعلى الطفل وثقافته بشكل خاص ، وهنا يأتي الكاتب المفكر والأديب الباحث الأستاذ فاضل الكعبي وهو الخبير المتخصص بأدب وثقافة الأطفال ليناقد إشكالية هذه القضية ويبحث تبعاتها الفكرية والاتصالية المتعددة في هذا الكتاب ، عبر مجموعة من الدراسات العلمية القصيرة ، التي تعالج العديد من القضايا الجدلية الحديثة التي تدور في مدار التكنولوجيا واشتغالاتها الإلكترونية والاتصالية المختلفة في أكثر من جانب من جوانب الطفل وثقافته في الحياة العامة .

